الجديد

١٩٨٠ • 1980

عدد ١٢ ، كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٠

الثمن ٥ شاقل מחיר : 5 שקל Price : 5 Shekel



ماذا نقدم لك

نستقبل ١٩٨١ بآمال مشرقة — راى الجديد ٢

فلسطين في العهد العثماني — الدكتور اميل توما ٤

وما نسينا — سلمان ناطور ١٠

وقائع امسية حول حكاية اميل حبيبي ١٣

لقاء مع الشاعر عز الدين المناصره ١٧

فلسطيني يكفر باسطورة سيزيف — رياض بيدس ٢٣

قصائد ـ شوقي بزيغ ، عبد الناصر صالح ابراهيم عمار وضرغام جوعبه ٢٦

عن مجموعة محمد نفاع ، كوشان، — نبيه القاسم ٢٩

هكذا تغني سهام داوود — فاروق مواسي ٣٤

الثورة العلمية في الزراعة ومسالة الجوع — الدكتورة نجوى مخول ٣٦

التراث الدرزي بين الرؤية الحقيقية والاستهلاك السياسي — نزيه خير ٤٢

في معرض الرد على تسويغ رجعي — الدكتور اميل توما ٤٥

بريد الجديد ٤٨

AL-JADEED אל-ג'דיד

تقرأ في هذا العدد

اميل توما ، يكتب عن فلسطين فى العهد العثماني وفى هذا العدد مدخل للتعرف على النظام الذي كان قائما والذي قسمت بموجبه الدولة العثمانية الى ايالات وولايات وسناجق ، وما هو موقع فلسطين فى هذا التقسيم .

***

سلمان ناطور ، يكتب عن حيفا ، المدينة العربية التي سقطت فى نيسان ١٩٤٨ بعد ان قامت قوات « الهاجاناه » باقسى حملات القصف الذي ادى الى تشريد الجماهير العربية بمساندة القوات البريطانية .

***

نجوى مخول ، تجري مقارنة بين التوجه لحل مسألة التغذية فى الدول الاشتراكية وبينها فى الدول الرأسمالية وذلك فى الحلقة الثانية والاخيرة من دراستها القيمة حول الثورة التقنية العلمية ومسألة الجوع .

***

نبيه القاسم . يكتب عن مجموعة محمد نفاع ، كوشان ، ويطرح السؤال : ـ ما هي القصة التي نريدها ؟ على ضوء ما يقدمه القاص محمد نفاع من قصص ذات طابع خاص به اصبح مميزا لادبه ولادبنا المحلي بشكل عام .

***

زاوية ، **بريد الجديد** ، تعود لتظهر على صفحات المجلة كي يتسنى لقرائها ان يعبروا عن ارائهم وملاحظاتهم وليس حول مواد المجلة وحسب وانما حول كل موضوع يرغبون فى التحدث عنه ، وليتسنى لهيئة التحرير كي تحاور كتابها .

***

لعل فى صورة الغلاف ما يعبر عن امنياتنا بحلول السنة الجديدة ، كما ارادت ان تعبر عنه حركة النساء من اجل السلام فى سان فرانسيسكو التي ارسلت الينا هذه المعايدة ، وعليها كتب ايضا : « اجراس العالم اتبات بما فيه الكفاية عن الموت : لتقرع الان من اجل الحياة » .

وكل عام وانتم بخير

الجديد

مجلة شهرية ثقافية ـ
تاسست فى حيفا عام ١٩٥١

*

عنوان هيئة التحرير :

حيفا
شارع مار يوحنا ٣٩ ـ
(وادى النسناس)
ص.ب ١٠٤
تلفون ٦٦٦٦٤٨ (٠٤)

*

عنوان الادارة :

حيفا
شارع الحريرى ٩
ص.ب ١٠٤
تلفون ٧ ـ ٥١١٢٩٦ (٠٤)

*

تطبع فى :

حيفا
شارع الوادى ٤٣
تلفون ٥٢١٤٥٧ (٠٤)

*

المحرر المسؤول :

المحامى حنا نقارة

رأى الجديد

نستقبل ١٩٨١ بآمال مشرقة

اعتاد المنجمون في عشية كل عام ان يتنبأوا باحداث المستقبل .. واجمالا كانوا يتفقون على الخطوط العريضة ويختلفون في التفاصيل او على المواقع والشخصيات ..

وكثيرا ما تنبأوا بزلازل مدمرة تقع هنا او هناك وبانقلابات تصيب هذا القطر او ذاك .. وباغتيال هذه الشخصية او تلك .. وبموت هذا الزعيم او ذاك ..

وحين كانت تقع هذه الحادثة او تلك حسب ما تنبأ به هذا المنجم او ذاك كان المؤمنون بهذه الشعوذات يصفقون احتراما لهذا الذي يرتأى الغيب ويستطيع ان يكتشف مكنوناته ..

لسنا من المنجمين .. ولا نؤمن بنبؤاتهم .. ولو جمعنا حصيلة شعوذاتهم على مر السنين لوجدنا انهم اخطأوا في تحديد التطورات مع انهم لم يتنبأوا بغير احداث قد تقع لانها من مظاهر الطبيعة كالطوفان والزلزال .. ولانها من معالم الحياة كموت زعيم او كبير .. ولانها من طبائع المجتمعات كانقلابات او ثورات .

***

نحن لا نتنبأ .. ولا « نضرب بالبخت » .. ولا « نبصر ونبرج » حين نستنتج اعتمادا على احداث السنة المنصرمة ... وعلى قوانين التطور التاريخي ان الامبريالية والصهيونية والرجعية ـ ثالوث صفقة كامب ديفيد ـ ستخفق هذا العام مثلما اخفقت في السابق في تبديد حقوق الشعب العربي الفلسطيني وفي التآمر على تطلعات الشعوب العربية والشعب الاسرائيلي ..

ولا نتجم او نقرا معاني مسيرات الابراج والكواكب حين نقرر ان نهج حكام اسرائيل العدواني المقامر سيصطدم بالاخفاق .. وان سياستهم الاقتصادية العسكرية ستنزل مزيدا من الضربات بجماهير اسرائيل ..

ولن نتكهن بجديد اذا ذهبنا الى القول ان الازمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والاخلاقية التي تعصف بالبلاد ستتعمق في عام ١٩٨١ وستستنفر المقاومة الشعبية التي قد تؤدي الى سقوط هذه الحكومة الجائرة اما قبل موعد الانتخابات او خلالها .

واذا مددنا ابعادنا الى العالم الكبير وتوقفنا عند الهجمة الامبريالية الامريكية على التعايش السلمي ومحاولات الرئيس المنتخب ريغان العودة الى جليد الحرب الباردة لاستطعنا ـ اعتمادا على تقويمنا توازن القوى في عصرنا ، وعلى رجحان كفة الاشتراكية والتحرر والسلام في هذا التوازن ـ ان نتفاءل باخفاق هذه الهجمة على الرغم من ضجيج وسائل الاعلام المغرضة التي تحاول تصوير العكس .

***

ولا نحتاج الى قارىء غيب لنشف مجريات الامور في القطاع العربي في هذه البلاد .. ان حكام اسرائيل سيواصلون ممارستهم سياسة الاضطهاد القومي والاضطهاد العنصري .. وسيمعنون في تصعيدهم الحملات على الجماهير العربية ..

ولكن هذه الجماهير ، التي تتغير كما وكيفا ، عبرت السنة المنصرمة ، وقد ازدادت تماسكا ووحدة ، واصبحت بتلاحم قواها وخبرتها النضالية اشد مراسا وباسا في الكفاح من اجل حقوقها القومية والمدنية ومن اجل السلام الاسرائيلي العربي احدى اهدافها الكبرى بوصفها جزءا حيا ونشيطا من الشعب العربي الفلسطيني من ناحية ، ومواطنة في اسرائيل من حقها ، ان تشارك في مصير هذه الدولة مع الشعب اليهودي الاسرائيلي ، من ناحية ثانية ..

***

وعلى هذا الضوء ليس امامنا ، على الرغم من المصاعب والعقبات التي نرتابها ، الا ان نستقبل عام ١٩٨١ بآمال مشرقة ..

وكل عام وانتم بخير .

الجديد

فلسطين فى العهد العثمانى

مـــدخـــل

بقلم : الدكتور اميل تومـــا

هل يمكن الحديث عن تاريخ فلسطين بعد قيام الامبراطورية العربية الاسلامية ؟

ومتى بدأ تاريخ فلسطين المعاصر ؟..
الجواب على السؤال الاول لا ونعم ..

ففي عهد الامبراطورية العربية الاسلامية الفت المساحة الاقليمية التي عرفت فيما بعد بفلسطين جزءا من وحدات ادارية متقلبة توالت عليهـــا التطورات ، التي وقعت فى المشرق العربي ، دون ان تبلورها فى كيان اقليمي مستقل او تميزها بمعالم ملموسة ..

وحتى حين نجحت الحملات الصليبية فى القرن العاشر فى اقامة دويلات فى هذه المنطقة .. ونشأت مملكة القدس لفترة زمنية قصيرة تقاسم الملوك الاقطـاعيون « المساحة الفلسطينية » ولم يبلوروا كيانـا اقليميـا مترابطـا ..

ومع هذا فمن الممكن ان نلاحظ امرين .

الاول ان مراكز الحكم ابان الامبراطورية العربيـة الاسلامية ، فى العهدين المركزي : العهد الاموي والعهد العباسي ، واللامركزي بعد انحسار السيطرة المركزية ونشوء الدول الاقطاعية ــ الدولة الفاطمية مثلا فى مصر ــ .. ان مراكز الحكم لم تستقر فى « فلسطين » بل كانت « المساحة الفلسطينية » تـابعة لاحدى هـذه المراكز .

الثاني : ان موقـع هذه المســاحة الاستراتيجي حولها الى ساحة قتال بين الدول الاقطاعية التـــي نشأت .. وهذا بالاضافة الى فترة الحروب الصليبية العاصفة .

وعلى هذا الضوء يتضح ان من الصعب الحديث عن تاريخ فلسطين ولكن من الممكن البحث فى التطورات التي توالت على هذه المساحة الفلسطينية .

ولذلك اجبنا على السؤال الاول بنعم ولا ..

وهذه الحقيقة تتضح اكثر حين اصبحت فلسطين جزءا من الامبراطورية العثمانية بعد معركة مرج دابق فى عام ١٥١٦ .

آنـذاك اجرت السلطـة العثمـانية تعديلات فى التقسيم الاقليمي الاداري بحيث توزعت « المســاحة الفلسطينية » على عدد من الايالات والولايات . وهـذا التقسيم ، الذي لم يكن ثابتا ، اختلف تماما مع الاطر الاقليمية التي نشأت بعد انهيار الامبراطورية العثمانية وتوزيع « تركتها » بين الدول الامبريالية .

وهكذا فالاطر الاقليميـة المعـاصرة فى المشرق العربي . وبالتحديـد فى الهـلال الخصيب ــ العراق وسوريا ولبنان وفلسطين وشرق الاردن هي من صنع الامبريالية ، بالضبط ، كما ان الاطر الاقليمية فى افريقيا كانت تعسفيـة وفرضتهـا المنافسات الكولونيالية ــ الامبريالية حسب توازن القوى بينها والتسويات التي توصلت اليها الدول الكولونيالية الامبريالية فى قرون التوسع الكولونيالي الاوروبي ابتداء من القرن الثامن عشر .

وبداهة ان تواجه صعوبات غير قليلة لان التقسيم الاداري العثماني الذي وزع هذه المنطقـة الى ايـالات وولايات وسناجق كان يعكس الواقع الاداري الرسمي من ناحية وكان مائعا من حيث التقلبات التي كانت تطرا

عليه بين وقت واخر .. ففي كثير من الحالات كان هذا الحاكم الاقطاعي او ذاك في هذه الايالة او تلك يمد نفوذه الى سناجق حاكم اقطاعي اخر ويسيطر عليها في فترة من الزمن قد تطول وقد تقصر .

ولا بد لنا من ان نلاحظ ان هذا التوزيع الاقليمي الاداري لم يخلق سدودا امام السكان العرب .. الا ان مستوى التطور الاقتصادي والاجتماعي اختلف .. وفي غياب المواصلات المنظمة وسيطرة الولاة ومحاولاتهم التمسك بحدود مناطقهم عرقل التعامل الواسع والحر فيما بين اولئك السكان .

وهكذا تصبح دراسة تاريخ فلسطين ، دراسة مجريات التطور في المنطقة كما انعكس على ((المساحة الفلسطينية)) .. او كما ظهرت فيه هذه المساحة ...

ملامح السلطنة العثمانية العامة

استولت السلطنة العثمانية على المشرق العربي الذي يمتد من مصر حتى العراق بعد ثلاث معارك حاسمة مع الصفويين في جالديران في عام ١٥١٤ ومع المماليك في مرج دابق بالقرب من حلب عام ١٥١٦ ومع المماليك المصريين في موقعة الريدانة في ١٥١٧ .

ولم تغير السلطنة النظام الاجتماعي السياسي اي البنية الاقتصادية القائمة على الاقطاع .. وانما غيرت الاقطاعيين واجرت تقسيمات اقليمية جديدة ..

واختلفت الاقطاعية في السلطنة العثمانية عن الاقطاعية الاوروبية كما تماثلت معها ..

اما موضع الخلاف فكان في ان منح المقاطعة الى شخص من الاشخاص ((**ما كان يعني تمليكه القرى والاراضي التي تؤلف تلك المقاطعة ، انما كان يعني تفويضه لجباية الاعشار وسائر الرسوم والضرائب المترتبة عليها**)) .. وهذا يعني ان السلطان ، في حالة الولاة ، يستطيع ان يغير الاقطاعي ــ الوالي متى اراد كما ان الوالي يستطيع ان يغير الاقطاعي الثانوي متى اراد .

اما موضع الشبه فكان في فرض السلطنة على ((**اصحاب المقاطعات ان يكونوا دوما على استعداد الحرب ، وان يتولوا اعداد عدد من الخيالة والفرسان المحاربين ، وان يجهزوهم بكل ما يحتاجون اليه من اسلحة وخيول**)) (البلاد العربية والدولة العثمانية لساطع الحصري ص ٢٩) .

وفي الوقت نفسه اتصف الاقطاع العثماني بالشكل الهرمي ففي القمة كان السلطان .. وهو الذي كان يعين الولاة الاقطاعيين .. وهؤلاء يقسمون اقطاعياتهم الى اقطاعيات دنيا .. وهؤلاء يقسمون اقطاعياتهم الدنيا الى اقطاعيات ادنى .

وصور ساطع الحصري هذا البناء الهرمي ، فذكر ان البلاد كانت تقسم اداريا وعسكريا الى ايالات ، والايالات تقسم بدورها الى الوية او « سناجق » وهذه تتالف من عدد من « التيمارات » و « الزعامتات » .

واضاف ان المقاطعات الكبيرة ، اي الايالات ، هي تلك التي كان يزيد دخلها على ١٠٠٠٠٠ آقجة (الوحدة النقدية) والمقاطعات المتوسطة هي تلك التي تراوح دخلها بين ٢٠٠٠٠ و ١٠٠٠٠٠ آقجة وتسمى زعامتات (مفرد زعامت) .. والمقاطعات الصغيرة التي يقل دخلها عن ٢٠٠٠٠ آقجة وتسمى تيمارات (مفرد تيمار) ــ المرجع السابق .

ويتضح من هذا البناء الهرمي مدى الاستغلال الذي كان يتعرض له المنتجون ــ المزارعون في الاساس .. فقد كان عليهم ان يدفعوا « الضرائب المركبة » ، فالاقطاعي في ادنى السلم كان ياخذ بعين الاعتبار ما عليه من الالتزام للاقطاعي الاعلى واحتياجاته الذاتية ... وهكذا بالتتابع .. بحيث كان العبء العام يقع كله على المنتج او المزارع .. (ص ٣٠) .

في كتابه «كشف الظنون» كتب حاجي خليفة في احدى رسائله « ان اركان الدولة اربعة : **العسكر والعلماء والتجار والرعية** » .. وكان يقصد بالرعية الفلاحين والعمال والحرفيين وسائر الفئات التي لا تدخل في الاركان الثلاثة الاولى .

وفي هذا التعريف عناصر حقيقية .. ومعالم تشير الى خصوصيات هذه السلطنة التي سيطرت على المشرق العربي اربعة قرون :

*** فالعسكر اي القوات المسلحة في اصطلاح اليوم ، كان اداة التوسع الاقليمي والقمع والسيطرة ...**

*** والعلماء كانوا عنصرا جوهريا في البناء الفوقي ومؤسساته المختلفة فمنهم القضاة والمفتون والائمة والخطباء والمشايخ والمدرسون والطلبة والدراويش . وقد ازداد عددهم مع الايام والفوا فئة طفيلية واسعة قامت بدور هام في تطورات السلطنة .. كما انهم بحكم طابعهم الطبقي ادوا دورا رجعيا في فترات التحولات الاجتماعية او الاجراءات الاصلاحية التي فرضتها الاحداث .**

*** اما التجار فكانوا الفئات التي احتلت موقع الوسط بين الاقطاعيين و ((الرعية)) .. وابرزهم يشير الى امرين : الى اهميتهم في الحياة الاقتصادية في السلطنة .. والى عدم اتساع ونمو الحرفيين الى**

صناعيين .. فالصناعة بمفهومها الحديث لم تنشأ في بقاع السلطنة والمنشآت التي نمت ظلت صناعات بدائية واقتصرت على الصناعات الخفيفة : النسيج والصابون في الاساس .

*** ومن الواضح ان « الرعية » تالفت من الفلاحين .. فالزراعة — وكانت بدائية — هي التي حددت طابع المجتمع ورسمت خريطته السياسية وحسمت في مجريات تطوراته .. ولا نعتقد ان الطبقة العاملة ظهرت في هذه الحقبة الزمنية . فعدد العمال كان قليلا جداً . وفي كثير من الاحيان انتموا الى فئات الحرفيين .**

وعلى هذا الضوء يؤكد هذا التعريف لاركان الدولة العثمانية النظرية الماركسية حول الانظمة الاجتماعية التي عانتها الانسانية كما يظهر طابعها الاستغلالي ..

ولكن الماركسية تطرقت ايضا الى خصوصيات الحكومات او الانظمة التي نشأت في الشرق ..

وكتب فردريك انجلز الى كارل ماركس في ٦ حزيران ١٨٥٣ في هذا الصدد : **« لم يكن اكثر من ثلاث دوائر في الحكومة الشرقية : دائرة المالية (النهب الداخلي) ودائرة الحرب (النهب الداخلي والخارجي) ودائرة الاشغال العامة (خلق ممكنات اعادة الانتاج) »** (مختارات مكاتبات ماركس انجلز ص ٩٩) .

وبداهة ان تكون العلاقة عضوية بين الدائرة المالية ودائرة الحرب .. اي بين النهب الداخلي والخارجي وان تؤدي التطورات الخارجية او نتائج حروب التوسع الاقليمي الى تطورات داخلية .. ولذلك ادى وقف امتداد الامبراطورية في الشرق والغرب الى تقليص النهب الخارجي مما ادى الى تشديد النهب الداخلي .

ثم ان الحروب التي خاضتها الامبراطورية العثمانية مع الدول المجاورة — مثل روسيا القيصرية — اضطرت السلطنة الى زيادة النهب الداخلي للانفاق على الجيوش المحاربة .

هذا من ناحية اما من الناحية الثانية فقد طرأت تغيرات خطيرة ، بعد المرحلة الاولى من انتصارات السلطنة واتساع ممتلكاتها ، على القوات العسكرية التي الفت جهاز الحرب العثماني .

فالقوة الضاربة تالفت من « الانكشارية » (والكلمة هي تحريف كلمة يني تشري التركية وتعني النظام الجديد) .. وجنود الانكشارية كانوا من فتيان الشعوب المقهورة في اوروبا الذين استرقتهم السلطنة وانشأتهم نشأة اسلامية ودربتهم على القتال ايضا . تدربت بذلك وربتهم على الولاء التام للسلطان او السلطنة على اعتبار ان ذلك الولاء كان سهلا بعد اقتلاعهم من جذورهم وفقدانهم اية علاقة بعائلاتهم واقوامهم .

ويتفق البحاثة ان هؤلاء الفتية ، النصارى في اغلب الاحيان ، كانوا يشبعون بفكرة الجهاد — اعتقادا منهم انها من فرائض الدين الاسلامي فيذهبون الى ساحة الحروب وهم يهتفون « اما غازي او شهيد » .

وصف الدكتور عبد الكريم رافق هذه التغييرات التي طرات على « الانكشارية » فكتب :

« ومن مظاهر ضعف الدولة العثمانية انحطاط الجيش فيها في اعقاب الفتوحات وتناقص سلطة السلاطين الفعلية ، ففسد نظام الجيش وخاصة الانكشارية ، وطمع المسلمون الاحرار ، بالتجند في صفوفهم للتمتع بامتيازاتهم » (كتابه العرب والعثمانيين ١٥١٦ — ١٩١٦ ص ١٢٠) .

واضاف باحثون اخرون الى هذا التقويم فذكروا ان الانكشارية بعد ان استقروا في مختلف انحاء الامبراطورية مالوا (القصد هنا تصوير الاتجاه العام) الى التدخل في شؤون الدولة ووصل بعضهم الى احتلال مراكز ادارية .. كما انهم قاموا في لحظات تاريخية معينة باغتيال هذا السلطان او ذاك وتعيين سلطان آخر مكانه يتجاوب مع مطالبهم .

وحتى حين لم يتداخلوا مباشرة في جهاز السلطة في مركزها الاستانة (استانبول) ضعف ارتباطهم بثكناتهم **« وصار الكثيرون منهم لا يذهب الى الثكنات الا لاستلام المرتبات التي كانت تسمى اسم « العلوفات »** (ساطع الحصري البلاد العربية والدولة العثمانية ص ٤٧) .

ولا بد لنا من ان نذكر ان وقف امتداد السلطنة العثمانية سد امام السلطنة مصدر استرقاق الفتيان واحتياطي الانكشارية مما فتح الباب امام الجنود المرتزقة من الفلاحين المعدمين كما اضعف قدرة القوات العثمانية القتالية .

وفي الوقت نفسه مكن هذا الضعف الولاة او الاقطاعيين المحليين الكبار من اقامة قوات عسكرية محلية استطاعت في فترات معينة وفي ظروف محلية وخارجية الى تحدي السلطة المركزية .

ومن اهم سمات المرحلة العثمانية انفجار الصراعات الطبقية الاجتماعية بسبب ارهاق الفلاحين .

وهذه الانتفاضات الاجتماعية بدات في وقت مبكر ولم تتوقف حتى نهاية الامبراطورية العثمانية .

ويذكر ف. ب لوتسكي في كتابه « تاريخ الاقطار العربية الحديث » ان من اكبر الحركات الشعبية المعادية للاقطاعية في تركيا نفسها الانتفاضة التي جرت في ١٤١٥

ـ ١٤١٨ برئاسة بدر الدين السماوي ، وانتفاضة قره يزيجي في نهاية القرن السادس عشر ومطلع القرن السابع عشر ..

ويضيف : « **وامتدت انتفاضة بدر الدين السماوي عبر اراض واسعة من البلقان حتى شرقي الاناضول . وقد ندد الشيخ بدر الدين ، زعيم الانتفاضة بالمستثمرين بضراوة في خطابات القاها في ذلك العهد ودعا الى المساواة التامة والى تصفية الطغيان الطبقي والى شيوع الممتلكات ، كما دعا الى وحدة الكادحين لجميع القوميات والاديان . وفي صفوف الثوار حارب المسلحون جنبا الى جنب مع المسيحيين واليهود والاتراك الى جنب اليونان والسلاف . وامتدت حدود انتفاضة قره يزيجي الجغرافية الى ابعد من ذلك ، فشملت لبنان واسيا الصغرى وشمال سوريا والعراق واستولى الثوار على بغداد وبقيت تحت حكمهم سنوات عديده . وقد اسهم الفلاحون العرب والبدو في هذه الانتفاضة الى جانب الفلاحين الاتراك وصغار الفرسان وحتى عدد من الباشوات** » . (ص ٢٤ ـ ٢٥ طبعه دار التقدم بالعربيه عام ١٩٧٥) .

ومع مرور الايام اقترنت هذه الانتفاضات الطبقيه الاجتماعية بثورات قومية ابتدت في البلقان ـ الممتلكات الاوروبية ـ ثم انتقلت الى المشرق العربي .

ومع هذا فالصراعات بين اجهزة السلطة او الاقطاعيين الكبار والصغار من ناحية .. والقوات العسكرية من ناحية ثانية كانت من اهم عوامل ضعف الامبراطورية العثمانية وتآكلها ..

ومن الضروري ان نلاحظ ان الادارة او السلطة في الاقاليم (الولايات) قامت على مبدا توازن القوى .. والسلطنة او مركزها ـ وسمي الباب العالي ـ هو الذي حاول دائما ان يرتب القوى بحيث يؤدي اصطفافها الى الوقوف الواحدة ازاء الاخرى وبذلك يترسخ نفوذ السلطة المركزية (غير المركزية في الواقع) .

وهذا الوضع نجم عن ان السلطنة ابقت البناء الاقتصادي ـ الاجتماعي ـ كما ذكرنا على حاله واكتفت بتعيين العثمانيين في المناصب العليا .. وبعسكرة قواتها المسلحة في الولايات او على الاصح في عواصم تلك الولايات ..

ووصف عبد الرحمن الرافعي في كتابه « تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر » هذه القاعدة العثمانية في الحكم ـ وهي لا تختلف في جوهرها عن المبدا الامبراطوري العتيق : فرق تسد ، فكتب :

« **يؤخذ ان السلطان «سليم» قد وضع فعلا قاعدة النظام السياسي للحكومه ، وهي ايجاد سلطتين تتنازعا الحكم وتراقب كلتاهما الاخرى . الاولى سلطة نائب السلطان** (الوالي العثماني ـ ا.ت.) **والثانية سلطة رؤساء الجند . ووضع ايضا نواة السلطة الثالثة ، وهي سلطه البكوات المماليك الذين رجع اليهم حكم مديرات القطر المصري** » (ص ١٦) .

وفي وسعنا ان نرى سريان مفعول هذه القاعدة في جميع اقاليم المشرق العربي .. حيث ساعد البناء الاقطاعي الهرمي الذي اشرنا اليه الى صراعات بين اصحاب « الايالات » و « الزعامتات » و « التيمارات » والى اصطفاف قوى متصارعة باشكال متعددة ساعد تصارعها واقتتالها على توطيد السلطة المركزية ـ الباب العالي ـ وبقاء امبراطوريتها هذه القرون الطويلة ..

طبيعي ، ان هذا الوضع خلق اوضاعا متأزمة هددت نفوذ السلطنة العثمانية في المشرق العربي وذلك حين تدخلت القوى الكولونيالية ـ الامبريالية المتنافسة مع السلطنة في الصراعات بين بعض الولاة والباب العالي وحاولت ان ترجح قوة اولئك الولاة تحقيقا لاغراضها .. وهذا التدخل بدوره تحول في فترة متاخرة الى احد امرين : دعم السلطنة في وجه محاولات استقلال قومي (في فترة حملة ابراهيم باشا في سوريا ١٨٣٠ـ١٨٤٠) .. والضغط عليها لتتنازل عن مواقعها في هذا الاقليم او ذاك (لبنان بعد مآسي «مذابح الستين» كما يطلق على احداث ١٨٦٠) .

ومن العوامل التي قامت بدورها في التطورات في الامبراطورية العثمانية واثرت على تاريخ المنطقة التي شملت المساحة الفلسطينية ، ظاهرة التطور غير المتعادل او خصوصيات بعض المناطق .. وكان من الممكن ان نرى مثلا تطورا صناعيا ، بدائيا بالمقارنة مع الصناعة المعاصرة، في دمشق (اي منطقة شمال سوريا الطبيعية) في حين لم تتطور الصناعة في عكا او يافا (جنوب سوريا).

كما ان من خصوصيات جبل لبنان وما احاطه من اقاليم ، اداريا ، كان ترسخ الاقطاعية المحلية وعنف الصراعات التي انفجرت في اطاره في حين ان المساحة الفلسطينية لم تشهد مثل هذه الصراعات من حيث الاتساع والعنف وسفك الدماء والدمار .

ومن المهم ان نذكر ان هذا الوضع سمح بانتشار الرشوة بين المقربين من مراكز السلطة والمقررين في امورها .. فهؤلاء كانوا يتقبلون الاموال والهدايا للعمل

على اصدار المراسيم السلطانية (الفرامانات) بتعيين هذا الاقطاعي او ذاك في هذه الولاية او تلك . .

ووقعت اعباء كل ذلك ، كما اشرنا ، على عاتق الفلاحين - المنتجين الذين كان عليهم ان يسددوا لا الضرائب « التصاعدية » المقررة فحسب بل الرشاوى ايضا . . . وهذا ادى الى افقارهم .

ووصف محمد كرد علي في كتابه « خطط الشام » هذا الوضع فكتب ان رجال السلطنة بعد ان انتقلوا من البداوة الى الحضارة وبداوا يعيشون في قصور فخمة ويفرشونها بانواع الرياش مما لا يتناسب مع رواتبهم . . **« اضطروا الى الارتشاء وبيع المناصب بالمال وتلزيم البلاد واقطاعها بالاثمان الفاحشة فضاق ذرع الاهلين واضطر كثير من اهل الذمة ان يهجروا الارض العثمانية الى البلاد الخارجية وترك غيرهم القرى وجاء الآستانة فرارا من الظلم . . »** (الجزء الثاني ص ٢٣٥) .

وابرز ف. ب. لوتسكي معنى تشديد ما اسميناه النهب الداخلي الذي تزايد بغياب او تقليص النهب الخارجي فكتب :

« واستنفد النهب الاقطاعي الاقتصاد الفلاحي بصورة فظيعة . فاخليت القرى من سكانها ، واهملت الاراضي المزروعة . واصبحت الحقول التي كانت مستثمرة بالامس القريب ، مغطاة بادغال الاشواك وتحولت الى ارض موات ، واصبح اكثر من نصف مساحة الاراضي في عداد « الاراضي الموات » . وصارت المجاعة ظاهرة يتكرر وقوعها مع مر الزمن » .

واضاف ان السلطنة طبقت مبدأ التكافل الجماعي في القرى باسوا مظاهر هذا التكافل ، حتى اذا هلكت اسرة فلاحية تنتقل ضرائبها الى الاسرة الفلاحية المجاورة . . . **« وان انقرضت قرية ما عن بكرة ابيها ، تدفع القرية المجاورة ضرائبها . ولقد افضى هذا النظام الى خراب القرية العربية اكثر فاكثر »** (كتابه المذكور اعلاه ، ص ٢٨) .

ومع هذا فقد ادت التطورات المحلية بسبب العوامل الداخلية واسقاطات الاحداث الخارجية الدولية الى تعاقب الدمار والازدهار في هذا الاقليم او ذاك . . وهذا هو موضوع هذه الحلقات .

ولكن علينا ان نذكر ، ما دمنا نتحدث عن المعالم العامة ، عن « الامتيازات » او الاتفاقات الدولية بين السلطنة والدول الاوروبية ، حول نشاط التجار الاجانب (الاوروبيين) في اقاليم السلطنة .

لقد بدا نشاط التجار الاجانب قبل انتقال السلطة في المشرق العربي الى السلطنة العثمانية ، اي انه لم يتوقف حتى بعد هزيمة الحملة الصليبية ، التي كانت التجارة احدى دوافعها الحاسمة .

وحسب التواريخ التفصيلية وقعت السلطنة العثمانية اول اتفاق « امتيازات » مع فرنسا . . في عام ١٥٢٥ . . انذاك وقع السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠ - ١٥٦٦) مع فرنسيس الاول ، ملك فرنسا ، على اتفاق يمنح التجار الفرنسيين حق العمل في السلطنة . . واصبح بعد ذلك في استطاعة السفن المختلفة ، الفرنسية وغير الفرنسية ، دخول الموانىء العثمانية . . وفي عام ١٦٠٤ عقدت السلطنة في ايام السلطان احمد الاول (١٦٠٢ - ١٦١٧) اتفاقات امتيازات مماثلة مع الانكليز واهل البندقية . . .

ومع الايام اصبح في وسع التجار الاجانب ان يتعاملوا مع السكان المحليين مباشرة بالاضافة الى اعفائهم من الضرائب واخراجهم من اطار سلطة المحاكم العثمانية . . فبذلك اصبحت ممتلكاتهم مصونة من المصادرة وتصرفاتهم غير خاضعة لاجهزة السلطة المشروعة بل خاضعة لمحاكمهم .

ويذكر فردريك انجلز في دراسة « القضية التركية » ان التجار الاجانب من يونانيين وارمن وسلاف واوروبيين غربيين قبضوا على تجارة السلطنة ورسخوا اقدامهم في المرافىء الكبيرة بحيث اصبحوا يسيطرون على قطاعات اقتصادية هامة في البلاد . (ك. ماركس و ف. انجلز - مؤلفاتهما . . .)

وكان لحق التجار الاجانب في التعامل مع السكان المحليين ابعاد بعيدة المدى اذ مكنهم ذلك من تسليف المنتجين - الفلاحين بالسلفيات لقاء منتجاتهم مما مكنهم من السيطرة على المنتجات من ناحية ومن استغلال المنتجين وفرض الاسعار غير الواقعية من ناحية ثانية .

وفي الوقت نفسه اضعف هذا الاجراء من نفوذ المشايخ (اي الاقطاعيين الصغار) والسلطة المركزية من ورائهم . . . وزاد من قدرة التجار الاجانب على التدخل في مجريات الامور في « الامبراطورية » !

نقسيم الايالات وموقع « المساحة الفلسطينية »

اعتمد ساطع الحصري ، عند تحديده حدود تقسيمات السلطنة الادارية على المراجع العثمانية ، وبالتحديد على رسالة «عين علي افندي» ، لعام ١٦٠٩ ،

بعنوان « قوانين آل عثمان در مضامين (اي ما يتضمنه) دفتر الديوان » (ص ٢٣٠ من كتابه المذكور) .
وحسب تلك الرسالة قسمت السلطنة العثمانية ممتلكاتها الى ٣٢ ايالة بينها (١٤) ايالة عربية ..
وهــذا التقسيم العام لم يمنع وقوع مساحات عربية في ايالات غير عربية او بالعكس .
والايالة التي تهمنا في هذه الدراسة هي ايالــة الشام ، وكانت في اوائل القرن السابع عشر تضم ١١ لواء ، وفي الوقت نفســه كانت الايالة (اي الويتها) تضم ١١٢ مقاطعة من درجة « زعامت » و ٨٦٨ مقاطعة من درجة « تيمار » .

وتوزعت الايالة على الالوية التالية « لواء دمشق » ـ وهو اهمها ـ ولواء القدس الشريف ، ولواء غزة ، ولواء صفد ، ولواء نابلس ، ولواء عجلون ، ولواء صيدا مع بيروت ، ولواء كركوك ، ولواء عكا ولواء البقاع ..
وانقسمت هــذه الالويـــة على « الزعامتات » و « التيمارات » على الوجه الآتي :

اسم اللواء	« الزعامتات »	« التيمارات »
دمشق	٨٧	٣٣٢
القدس الشريف	٩	١٦١
غزة	٧	١٠٥
صفد	٢	١٢٣
نابلس	٧	٤٧
عجلون	٤	٦١
لجون	٩	٣٩

ويتضح من هذا ان الوية القدس الشريف وغزة وصفد ونابلس ولجون هي من صلب المساحة الفلسطينية

كما ان مقاطعات من لوائي صيدا وعكا انضمت الى تلك المساحة حين تبلورت اقليميا بامــلاء اتفاق الدولتين الامبرياليتين بريطانيا وفرنسا .

وتدل المعطيات ان دخل لواء دمشق ، مركز الايالة وسنجق الباشا ، مثل اكثر من ضعفي دخل اغنى لواء آخر في الايالة ، لواء صفد .

ولكن علينا ان ننبه هنا مرة اخرى ان تقسيم هذه الايالة على هذا الوجـــه من الالوية و « الزعامتات » و « التيمارات » لم يكن ثابتا بل تعرض للتغيير في ظروف الصراعات الاقطاعية .

بداهة ان الوضع تغير في مرحلة الاصلاحات حين قضت السلطنة على التجزئة والاقليمية الاقطاعية ، في المشرق العربي ، بعد ان فقدت اكثر ممتلكاتها الاوروبية وبعض ممتلكاتها الافريقية .

وهكذا في مطلع القرن العشرين اي قبل الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨) ظلت « المساحـــة الفلسطينية » موزعة على ولايات ومتصرفيات .. فكانت جوهريا في ولاية بيروت وشملت بيروت وعكا وطرابلس ، واللاذقية ونابلس ، وفي متصرفية القدس الشريف التي تحولت الى متصرفية مستقلـــة تحت اشراف وزارة الداخلية مباشرة ..

(في العدد القادم : الدولة او الدويلة او الامارة المعنية)

صدر مؤخرا :

غسان كنفاني
الرجل تحت الشمس

جمع واعداد يعقوب حجازي وانطـوان شلحت • اصـدار « الاسوار عكا » •

يضم هذا الكتاب ، ويقع في ١٧٨ صفحة من الحجم الصغير ، عـددا من المقالات حول الكاتب الفلسطيني الشـــهيد غسان كنفاني ، وهي : « **غسان والموت** » ، بلال الحسن . « **غسان كنفاني ـ رجـــل تحت الشمس** » ، لطفي الخولي . « **غسان كنفاني .. حيـاً وشهيـداً** » ، آني كنفاني . « **البطـــل الفلسطيني في قصص غسان كنفاني** » ، اليـاس خوري . « **حول رجال في الشمس** »، علي الجندي . « **الواقع الثوري في قصص غسان كنفاني** . رندة حيدر .

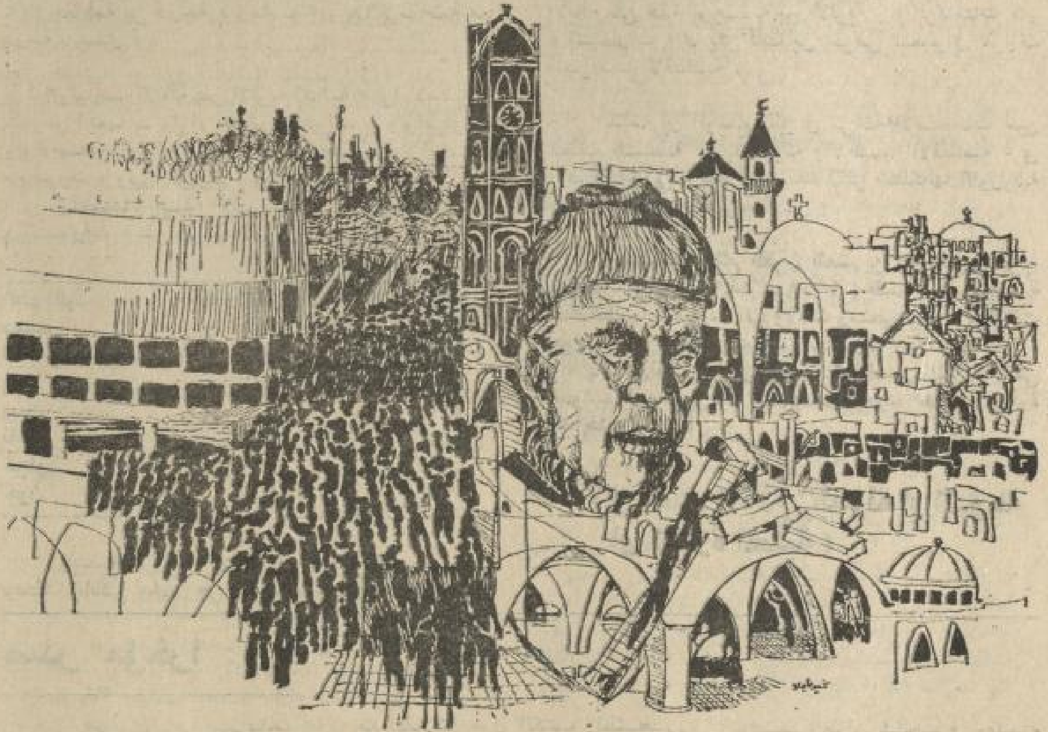
واسهم انطوان شلحت في مقدمته لهذه المجموعــة من المقــالات وهي بعنوان « **ستبقى مفتقدين الى قلم وفكر غسان كنفاني** » .

ويتفق جميع كتاب هذه المجموعة، بغض النظـر عن الزوايـــا التـي اختاروها في رصد حيـاة الشهيـد غسان كنفاني ، على المزج بين نضاله السياسي ونتاجه الادبي ولذلك جاء نتاجه ملتزما شعبيا ثوريا ...

سلمان ناطور

وما نسينا..

الحلقة السابعة – في حيفا



ابراهام شميدو باع الخان ، باع الشراكة سقطت الساعة ، قلت ، سقط الوطن

الشيخ المشقق الوجه الذي نتحدث عنه ، يمشي جنبا الى جنب مع سنوات هذا القرن ، هو يتراجع ، والسنوات تتقدم ، ببطء ، لكن بحزن ، بألم / بحسرة .. يستيقظ مع طلوع الشمس .. يترك البيت .. ويمشي في شوارع حيفا – **ي. ل. بيرتس . هنفنيم . مندلي موخير سفريم ، ابراهام افينو . ساره امينو** . أسماء لا تثبت على لسانه . وشوارع لا تثبت عليها قدماه .. يبحث عن مقعد في حديقة .. يجتمع حوله اصدقاء ، عندما كان هو « عربجي » ، سكة مكة ، في حيفا .. كان هؤلاء الاصدقاء يبنون قصورهم في بغداد والاسكندرية واولادهم على مقاعد الدراسة يستعدون لادارة قسم الهويات في دائرة الهجرة ..

نقول : حرب ال ١٤ .. (حرب العالمية الاولى) .. يقول كنت في ال ١٤ .. ، نقول حرب النكبة

يقول كان عمري ٤٨ ويضيف : « بلغتها يوم مـا كـان مدفعهم على البرج ، وضرب قنبلة فيها كبريت اصفر على الساعة قرب مسجد الجريني ، فسقطت الساعة ، قلت : « سقطت الساعه ، سقط الوطن » .. ورحت ياعمي يومهـا ابحث عن شريكي ، براهـام شميدو ، هالمكروت كان صار بـايع الخـان وبـايع الشراكة »

ويحكى الشيخ انه بعد ما احتلوا البلاد . اوقفوهم في طابور عند الخان لتسليمهم هويـات . فساله الموظف اليهودي :

ــ من وين انت ؟

ــ انا من هون ، من هالبلاد ابا عن جد . وانت من وين ؟

اجاب الموظف : انا من العراق .

ــ هالله ، هالله يـا هالزمن . صرت انت تعطيني هوية ؟

والله يا عمي ، ولا عمري حملتها هالهوية ؟!

وقف رفعت على حمار أسود • ورمى شباكه والبحر يجيب ناس ويقذف ناس

حيفا لم تمسح من خريطة هذا الوطن . لكـن معالمها تتغير وتتبـدل ، حيفا عتيقة وحيفا جديدة .. واحدة نعرفها نحن وواحدة لا يعرفها الا اولئك الذيـن تمر في ذكراتهم ايام البوابة الشرقية وسوق الشـوام وبندر التجار والشلي .. كما مرت السنوات الطويلة .. نذكر الكثير وفي الذاكرة تهتـرىء اكثر الاشياء .. تختفي ، ياكلها صدأ هذه الايام ، تتحول الى صـور وخيالات تنخز في القلب وتجرح العاطفة ، وماذا تطلب من شيخ تشقق وجهه ، وينتظـر قدوم الساعة او ان يفرجها ربك مع « هالـ ... حرمونـا نعمـة الحياة ، وقطعونا ، ومزقونا وشتتوا اولادنا » ..

وكيف يمكن ان نسجل كل شيء عن حيفا ؟ قلنا: نذكر القليل ، القليـل . لعـل شيخنا العربجي ينبش معالمها المخفية ، في الذاكرة ، او على اطلال جامـع الجريني او حمام الباشا الذي تلمع على سطح قبتـه نتؤات الزجاج الازرق كلما طلعت الشمس ومسحـت خيوطها عامود فيصل الرخامي ، الذى اقيم على قبـر الشيخ مبارك .

« اهالي حيفا القديمة ، كانوا فقراء ، حجـارة وصيادين سمك .. كـانوا يقلعوا الحجـار من وادي رشميا ويبيعوها .. وبعدين لما جاء الانجليز ، ووسعوا البور (الميناء) صارت العالم تشتغل في البور ..

رفعت كان صياد ماهر ، « فش منه وقدام » ، كان عنده حمار أسود ، يوقف على ظهر الحمار ، ويمد نظره للبحر ، كان يشوف افواج السمك جاي ، يرمي شبكته ، ما تفلت منه ولا سمكة .. راحت الايـام و جت الايام ، وهالبحر صار يجيب ناس ويقذف ناس، و«الانشات» دار ابو زيد تحمل في هالعرب ..

لوين ؟ لينا عكا

لوين ؟ لينا بيروت ..

لوين ؟ لينا صيدا ..

لوين ؟ لجهنم الحمرا .. »

مسكين حياة الشيخ اخلص لجماعته • احنا يا هالفقرا ما عرفنا كيف طارت البلاد

في تلك الايام . كان « الهدار » الذي تنبعث منـه اليوم رائحة الفلافل والشوارمة ، كان كله كروم عنب لدار الخمرة وبيت سلام والهواشي .. واشتراه ممثل الكبرن كبيمت الذى كان مكتبه في شارع ستانتون .. واشترى تل السمك والعزازية وسلمهـا لليهود .. « ساعدهم برومـزا حاكم المركزيـة .. فتحوا يا عمي مكاتب وصاروا يشتـروا في هالبلاد ، وهالسمـاسرة والاقطاعيين يقدموا لهم الغـالي والرخيص ، البارون اشترى حتى زمارين .

والمنطقة الالمانية ، كانت مع الالمان من ايام تركيا بعد ما اجا قيصر المانيا ابو غليون (ويلهلم غليوم) وطلع على البونط . اول ما وصل طلب الموارس من مشيرية عكا ليعطيها للالمان اللي سبقوه . قام الاهـالي صاروا يكيلوها بالحبل . وبعدين ركب حنطور جورج سـوس وراح القدس . كان الالمان يشتغلوا فلاحين وعربجية ، مثلنا مثلهم ، بعدين فتحوا الشوارع للقدس وصـارت نسوانهم تشتغل على العربات وهم ينقلوا السـواح، ويتمركزوا في الكرمل .... سكن واحد اسمه كيلر . ثم اجا شنايدر . وبعدها الراهبات واشتروا ام العمد وبيتلهم من الفرد تويني وباعوها لموسى خانكين زلمـة الكبرن كبيمت . احنا هالفقرا يا عمي ما عرفنا هالبـلاد كيف طارت ولما الفقرا كانوا يرفعوا صوتهم كـانوا يكسروا رووسهم .. جاري في حارة الكنايس كان الشيخ عز الدين القسام .. أصله من اللاذقية .. كان فقير ورجل دين تقي يهدي علي ويوعظني ، لاني كنت اشرب كثير ، كل المشايخ كانوا ضده : الحج خليل وحسن بك وابراهيم بك وسليمان بك الصلاح والحـج عبد الله ، كلهم كانوا ضده . ليش : لانه كان فقير حربجي بـده يحرر هالبلاد ، جمـاعته كلهم من الفقراء والفلاحـين القطمين واحد من هون وواحد من هون .. منـا يـا ياهالفقرا .. قتلوه الانجليز .. هو وجماعته ،حصدوهم في يعبد .. حياة الشيخ كان مخلص لجماعته .. والله

البيكوات والباشوات ما في نفوسهم ذمة .. لا والله .. كلهم حرامية وكنت تشتري الواحد بصرماي .. قبل ما ياخذوا الحكم كان لي صديق يهودي اسمه داهود كوهين بيشتغل عند اهرونسون . يوم ناداني . رحت لعنده : قال لي معكاش خبر ؟ اخذنا البلاد . جيب ولادك على زمارين !

الانجليز ينهشوا فينا . واليهود ينهشوا فينا ومشايخنا ينهشوا وسيف الدين الحج أمين

حدثنا الشيخ المشقق الوجه عن ساحة الحناطير، « كانت مثل محطة التكسيات ، هالعربات والحناطير واقفة تنتظر ... واحد رايح على المحطة يدفع عشر قروش ويركب .. واحد رايح على ام الجمال .. على الشونة .. ام العلق الخربيه .. الياجور .. المراح .. بريكة .. الغبية .. كان يركب معنا ونوصله » .. ذكر الخضر ، فاقتربت زوجته وقالت انها ستحكى لنا هالخرافة :

« مرة كنا نصيف في الخضر ، وصلوا زوار من كل البلاد ، ذبحوا هالذبايح ونزلوا العرق في التناك .. وقاموا القيامة .. بعد ما اكلوا شربوا ونزلوا عالبحر .. لما فاتوا ضيعوا وصاروا يفرقوا .. فزعت الناس تدب الصوت اللي جوزها في البحر ، اللي ابنها ، اللي اخوها .. والختيارية يا حرام صاروا يتدعوا : دخلك يا خضر ، اطلعهم يا خضر ! ما شافوا الا واحد قاعد على الشختوره وفات على نص البحر .. صار يجيب عالشط ويرمى في هالناس .. يجيب ويرمى .. خفى الله يا ربى خمس ست نقلات .. بعدين فقدوه ما وجدوه قرص ملح وذاب .. قدرة الله .. الناس صارت تقول : هذا الخضر .. ما غرق ولا واحد .. بعدين غنوا ودبكوا وزمروا .. وما حد نام يومها .. كانت سهرة ما في احلى منها .. » .

لم يسمح لها بان تواصل الحديث : قال متهكما : **الخضر حي ! الخضر حي !** كانت هناك مغارة .. جاء اسعد الخضر وبنى حولها .. وشيدت بنايات جميلة في ذلك الموقع الذي يطل على البحر .. ولم يتوقع احد من الذين كانوا يصيفون في هذا الموقع المقدس بانه سيأتي يوم وتصل الى حيفا اخبار دير ياسين حيث يصبح **« راسمال الزلمة فشكة »** ..

كنا ، يا عمى ، مش عارفين حالنا وين ، طاسة وضايعة ، الانجليز ينهشوا فينا واليهود ينهشوا فينا ومشايخنا ينهشوا فينا .. وكلمة تاخذنا وكلمة تودينا .. من يوم ما علمونا « سيف الدين الحج أمين » اللي صار بعدها ما بتحمله القرود ..



كنا في دار القلعاوي . دخل سكناجي وترك ورقة النفوس .

كان ذلك في نيسان ١٩٤٨ .. في التاسع عشر من هذا الشهر الربيعي سقطت حيفا .. كان جنود بريطانيا يجمعون امتعتهم ، بعد أن سلموا اسلحتهم لقوات الهاجاناه ، ويستعدون لمغادرة هذه المدينة التي انتعشت فيها التجارة وازدهرت في السنوات الخالية . اول خبر وصل عن قرية اسمها دير ياسين روى كيف كان الجزارون يشقون بطن المرأة الحامل ويمزقون حناجر الاطفال ويطوفون بجثث القتلى عند باب الساهرة .. واذاعة الملك عبد الله وبريطانيا العظمى ترعب قلوب الناس بما سيفعله اليهود للعرب الذين سيبقون في بيوتهم .. كانت مدافعهم تقصف المدينة من عمارة البرج .. هرب اليهود لمنطقة الهدار .. وظل العرب تحت القصف المركز ، وصرير المدافع .. وسمعوا نداءات تقول لهم : ابقوا في بيوتكم ولا تغادروا الوطن ! لكن المدينة الحالمة افزعتها « بومبايه » (قنبلة) سقطت على المحطة ، واخرى على الساعة التي كانت « تشبه ساعة لندن » ، واخرى بهيئة برميل معبأ بالبارود دحرجوه على الدرج النازل الى وادى النسناس واخرى .. واخرى .. واخذ جيش الهاجاناه ينظف الاحياء العربية من اهاليها .. « كان الانجليز يدخلوا

— البقية على صفحة ٤٧ —

وقائع امسية حول حكاية اميل حبيبى : «لكع بن لكع»

اميل توما : حكاية تجسم بأسلوب ساخر لاذع دروس مرحلة زمنية تمتد أربعة عقود •

سلمان ناطور : حكاية ترتبط بكل واحد منا ، كأننا نحن أبطالها ، والكاتب يحاول الا يتدخل فى هذه السيرة •

اميل حبيبى : هذا العمل يرصد القضية الفلسطينية من الواقع العربى بشكل عام • ولهذا لا أستغرب أن تقف عناصر فى الخارج وتهاجمه •

***

نقاش يشارك فيه : محمد على طه ، صليبا خميس ، سميح القاسم ، رياض مصاروة ، نبيه القاسم ، مكرم خورى ومحمد ميعارى •



اميل حبيبي

مساء الثاني والعشرين من شهر كانون الاول ، نظمت فى قاعة نادي الاخوة بحيفا امسية ادبية حول كتاب اميل حبيبي « لكع بن لكع » حضرها جمهور غفير من اهالي حيفا وعدد كبير من المهتمين بالادب من الناصرة والرامة والمنطقة . افتتحت الامسية بعرض مشهد من المسرحية قدمه الممثلان مكرم خوري وسلوى نقارة ـ حداد . ثم القى عريف الامسية الكاتب سلمان ناطور كلمة موجزة بعدها قدمت كلمة الدكتور اميل توما وطلب من الكاتب محمد علي طه ان يفتتح النقاش فقال ان ما يقدمه اميل حبيبي هو ثورة على الاسلوب التقليدى ، ومثلما كان مجددا فى المتشائل كان كذلك فىحكايته لكع بن لكع ، وانتقد الاسلوب الرمزي الذي يطغى على الحكاية قائلا ان قراء اميل حبيبي ينتظرون منه اعمالا ادبية واضحة ومفهومة . وقال الكاتب صليبا خميس فى معرض نقاشه ان اميل حبيبى يضفى صفة العالمية على التراث الفلسطيني ، واشار المخرج رياض مصاروة الى ان هذا العمل متكامل فنيا من حيث البناء المسرحي خصوصا اذا اعتبرنا ان الفقرات السردية هى على لسان الجمهور الذى يمكن اعتباره احد ابطال المسرحية . وقال الممثل مكرم خوري ان هذه الحكاية تعيدنا الى ايام الطفولة والى مشاهد صندوق العجب فى الاحياء وفى هذا روعتها . وقال المحامي محمد ميعاري ان هذه لحكاية ليس فيها اي ثورة على ما هو كلاسيكي وروعتها انها تقوم على التراث العربي بشكل عام والفلسطيني بشكل خاص . وحلل نبيه القاسم رموز المسرحية واشار الى الاسماء الواردة فيها مؤكدا ان فهمها يجعل المسرحية فى غاية الوضوح واختتم النقاش الشاعر سميح القاسم حيث دافع عن استعمال الشعارات فى الادب مؤكدا ان الشعار الفني يتضمن جمالية خاصة اذا قيل فى المكان الصحيح ، وشعارات اميل حبيبي كلها فنية وجميلة وتزيد من جمالية مسرحيته . كذلك يجب ان لا نحلل شخصيات المسرحية تحليلا كيماويا وعلينا ان ناخذ الشخصيات ليس الرئيسية فحسب وانما الشخصيات التي قليلا ما ذكرت ولكنها هى الاهم فى المسرحية مثل شخصية لكع بن لكع .

وبعد النقاش الذي كان حيويا وتميز بمستواه الرفيع والشامل كانت الكلمة الاخيرة للكاتب اميل حبيبي .

لم يبق المجال ، حيث كانت صفحات المجلة فى ملازم المطبعة ، عندما عقدت الامسية ، فلم نتمكن من نشر كلمة اميل حبيبي ، ولذا فانها ستنشر فى احد اعداد « الاتحاد » القادمة .

مـن كامـة سلمـان ناطـور



سلمــان ناطــور

لكع بن لكع ، ليست مسرحية وليست حكاية مسرحية . وانما هي حكاية مسرحية يحاول اميل حبيبي الا يكون احد ابطالها . يحاول الا يتدخل في سيرة ابطالها وتحركاتهم على ارضية المرسح الذي يتحدث عنه ، ليس من منطلق الفنان من اجل الفن ، وهو ابعد من يكون عن هذه الفئة من الكتاب . وليس من منطلق من يسمى نفسه اعتباطا الاوبيكتيفي وانما يفعل ذلك عن وعي . اولا لانه يتحدث عن مرحلة عبرت ليس له اي سيطرة على احداثها وثانيا لانه شيوعي يؤمن بالتطور الديالكتيكي التاريخ وثالثا لانه ليس نبيا وهو بعيد جدا عن الهذيان وهو ليس « بصارة ولا براجة » :

لست قارىء كف ولا منجم ابراج
بل استعيد الماضي

لا لكي افتح جراحات
بل كي لا تذهب التجربة هباء .

حكاية هذه المسرحية ترتبط بحكاية كل واحد منا ، كاننا نحن ابطالها ونشعر ونحن نقلب صفحاتها كاننا موجودون ، كائنون بين اسطرها وكلماتها ، نعيد وقائع اربعة او خمسة عقود مضت . نحزن احيانا . نسخر . نضحك . نتالم . نقفز . نموت . نحيا . نرقص . نحصد . تحصد . سيسلك . حبسبس . شنقنق . كل ذلك ، نحن وهم . اعداؤنا واعداؤهم . اعداؤنا منا وفينا . واعداؤهم منهم وفيهم . واعداؤنا منهم وفينا . وتشدنا الرغبة لان نصل الى نهاية المطاف : **« فنسرع الى بيوتنا والى امهاتنا وزوجاتنا والى اطفالنا ونحن بين مصدق ومكذب »** .

**

لم يبق احد فى هذا العالم ويسلم من شر هذا المتفرج الشيوعي النبيه ، الذي يلتقط الصور التقاطا ، ويكشف عن المخفي ، والمخفي اعظم ، واذا وجد رغيف الخبز الطرعاني له مكانا فى هذه الحكاية ، فكيف لا تجده الصهيونية والرجعية العربية وحتى اولئك الذين يستعدون للقفز على ظهور الخيل فيقفزون واذا بهم قدامها تدوسهم حوافرها وعجلات الحنطورة المشدود من اجل «الجهاد» ومن اجل **« امة واحدة ذات رسالة خـالدة »** دم دا دمدم .. جهل جهلهل .. وطز يا زمان الانتيكا . وبين هذا وذاك وشهرزاد والسندباد نجد بدور الحالة المقطعة الموصلة التى ترى حتى فى هذه الظلمة :

شقائق نعمان تزهر فوق ضريح بـدر
واشقاء لنا
شقوا على النفاق عصا الطاعة
يحرصون على ضريح سعدي
كما يحرصون على ضريح سماديا
حرصاً على الاحياء
حرصاً على الاحياء .

**

هذه الرؤيا وهذا الوضوح يجعلنا نقف حيارى ونحن نتساءل :

لماذا يخاطبنا هذا المتفرج بلغة الرمز ؟ حتى انه احيانا يثقل علينا فهم انفسنا وماضينا ، ويجعل الغور فى اعماق الذات عملية اقسى من القيصرية تذكرنا بحكاية الجدة وحفيدها الذي يسالها : كيف ولد اخي الصغير . فتجيبه : انتشلته امك من بئر . ويصعب عليها فيسال : ولكن لماذا نزفت دما ؟ فتجيب : لان البئر مغطاة باشجار العليق . ويظل فى داخله سؤال حائر يبحث عن جواب :

لماذا لا تبحث امي عن بئر لا تغطيه اشجار العليق . ويخشى ان يسال . ولا تقنعه الضرورة انه من اجل ميلاد طفل جميل لا بد ان ينتشل من هذه البئر المغطاة كي لا تجرؤ كل امراة على انتشال اجمل الاطفال . وحسبي انه لم يقنعنا كلام الجدة .

لكع بن لكع ، بانوراما ، فيها كل شيء ، وفيها النهاية الحتمية ، وكان كل شيء يصب فى هذه النهاية ، هي صور متحركة احيانا دون اي اعتبار للحركة القائمة على اسس الدراما الحديثة والكلاسيكية . تتحرك بسرعة حتى تكتشف ان الكاتب لا يملك صبر وجلد المؤرخ العلمي الذي يعود الى الفهارس والكاتالوغات ليعطي الامانة حقها ، وهو لا يملك صبر وجلد الروائي وان كان يملك الاداة الفنية خشية ان يضطر لكتابة مجلدات يحول دونها عمله كسياسي محترف ، وتشعر وانت تقرأ هذه الحكاية ان اميل حبيبي يخشى ان يمضي الوقت دون ان يسجل هذه الحكاية ، او انما مضى اطول مما بقي .

فالذي يحتمل منتظراً ساعة الانفجار
يصبح الماضي البشع فى عينه
امراً جميلا
فيحتمل الاسوأ منه

حتى اذا مضى يصبح هو ايضا امرا جميلا .

طلب الي ان اتولى عرافة هذه الامسية ، ولن التزم بما لا يلزم ، فيبقى ان تقدم لكم ابطال هذه الحكاية :

لا مسرح ولا من يتعبون ، بل جمهور من اهل الحارة ونحن من اهلها !.

**

من كلمة الدكتور اميل توما

ايها الاخوان والاخوات

اكدت الحكاية المسرحية لكع بن لكع ان الكاتب اميل حبيبي بلور اسلوبا ادبيا مميزا بشكله ومضمونه



اميل توما

وباسلوبه الفني الساخر ..

وهذا الطابع المميز نجده في « سداسية الايام الستة » وفي « الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد ابي النحس المتشائل » كما نجده في لكع بن لكع ..

والواقع ان من يحاول ان يفصل بين شكل نتاج اميل حبيبي الادبي ومضمونه يقع في متاهات قد تنحرف في احدى منحيين : الشكلية الجامدة .. او « المضمونية المطلقة » ، كما قرر احد النقاد ..

وتظهر الوحدة العضوية بين الشكل والمضمون بوضوح تام في رائعة لكع ن لكع ..

وفي رايي لم يكن من الممكن ان يصور كاتبنا رؤياه الشاملة بدون تسخير « صندوق العجب » لاغراضه ويحوله الى مسرح يحرك ابطاله في اطاره ويتفاعل النظارة معهم من حوله ..

اذ كيف من الممكن بغير هذا الشكل الاصيل ، الذي ابتدعه الكاتب ، ان يروي حكاية شعوب .. وحكاية مرحلة وحكاية منطقة .. وحكاية قيادات قومية ووطنية ..

وكيف كان من الممكن بغير هذه الجلسات امام صندوق العجب ان تمتد الرؤيا عبر المكان والزمان .. فتغطي مساحة اسرائيل والعالم العربي .. وفي الوقت نفسه ان تتوقف عند تداعيات الاحداث سياسيا وايديولوجيا .

وكيف كان من الممكن ان يكثف التجربة الحياتية التي مرت بها جماهيرنا العربية وشعبنا الفلسطيني والشعوب العربية واسرائيل والمنطقة بدون اللجوء الى الرمزية لا بمعناها الفني الكلاسي بل بمعناها القاموسي ؟..

عند صدور لكع بن لكع في بيروت جرت ندوة ساهم فيها الكتاب الفلسطينيون فيصل دراج ويحيى يخلف وغالب هلسا « لمناقشة تجربة وابداع الاديب الفلسطيني الكبير اميل حبيبي » حسب السفير بتاريخ ١٢ تشرين الاول ١٩٨٠ .

وحتى يمهد فيصل دراج لنقده قال : « بعض الناس يخلطون بين التقييم السياسي والادبي » وهؤلاء « تقديرا له (لاميل حبيبي) كمناضل قدمت اعماله وكانها مثال العمل الادبي المطلق » .

نشك في ان هناك من يطرح تقويم نتاج اميل حبيبي الادبي على هذا الوجه .. ونتصور ان اقحام الفكره جاء لتسويغ انتقاد مضمون لكع بن لكع .

وانطباعنا ان الانتقاد في هذه الندوة تمحور جوهريا على الشكل ولم يمس المضمون في لكع بن لكع .. بل ان الكتاب المناقشين حين تحدثوا عن المضمون اشاروا الى « السداسية » او « المتشائل » والتهوا بالقول مثلا ان ادب اميل حبيبي هو « محاوله تناغم بين الداخل والخارج » .. او انه « عوده الى اصول الجريمة العربيه » التي ادت الى نكبه الشعب العربي الفلسطني ..

والان اسمحوا لي ان اناقش بعض مقولات المناقشين في الندوة .

قال غالب هلسا في معرض تحديده العلاقه بين الادب والسياسه :

« الادب يمثل كلية والسياسة تمثل جانبا خاصا من الحياة الانسانية ، وباستمرار عندما تحاول السياسة ان تعصر الادب فانه يفقد مقوماته الكلية » ..

في راينا هذا لغو اصطلاحي لانه يخلط بين مقولات ويخلق تناقضات وهمية .. وهذا قد يعود الى خطا في تعريف المقولات .. فالادب يعرب عن مفاهيم اجتماعية ـ سياسية .. وينبت في مجتمعات محددة .. والسياسة تتباين حسب الانظمة الاجتماعية .. والقول ، ان السياسة تحاول ان تعصر الادب حتى يفقد مقوماته الكلية ، يعود الى مزاعم اولئك الذين يتهمون دعاة الالتزام بمحاولة املاء المضمون التقدمي على الادباء ..

ان الادب « الكلي » اذا كان من الممكن تعريف الادب « بالكلية » هو الادب الذي يعرب عن نهج الاديب السياسي ، اي وجهة نظره السياسية في مرحلة تاريخية محددة .. ومن الممكن ان يصبح نتاج الاديب « كليا » ـ اي يعرب عن حقائق كلية ، اذا

تتوافق مع مسيرة الانسانية الى امام ، الى التحرر الاجتماعي ..

وقد صدق ذلك الاديب الذي عرف ادبه بقوله : ان كل ما يجري في بلادي يؤثر على حياتي واحاول تجسيمه فنيا من خلال اعمالي .. ونتاجي يعكس تاريخ تطور بلادي والقضايا العصرية التي تواجه شعبي ..

وهذا الكلام يعني ان الاديب او الفنان الحق هو الذي يوفق بين نتاجه وسياسة القوى الاجتماعية النامية التي تعرب عن تتوق الشعوب الى التحرر .

وقرر غالب هلسا ان « الكاتب كسياسي ، عندما يعبر عن السياسة في فنه يتجاوز موقفه السياسي » ..

واراد بذلك ان يقول ان الكاتب يسقط في الامتحان اذا لم يتجاوز موقفه السياسي .. اى ان اميل حبيبي لم يتجاوز موقفه السياسي ..

ومثل الكاتب على ذلك ، فذكر ان بلزاك مثلا تجاوز موقفه السياسي اذ اعرب عن فساد طبقته ..

صحيح ! لقد ابدع بلزاك في وصف فساد البرجوازية الفرنسية وتآكلها الى درجة لاحظ معها فردريك انجلز انه وجد في نتاج بلزاك الادبي تقويما للطبقة البرجوازية في فرنسا افضل مما كتبه الاقتصاديون في عصره ..

ولكن هل ينطبق هذا التوجه على كاتب شيوعي ينتمي ايديولوجيا وسياسيا وطبقيا الى القوى السياسية التي اوكلت بها التطورات التاريخية ان تكون قابلة المجتمع الافضل ــ المجتمع الاشتراكي ؟

ان من الخطأ تطبيق منطلقات فكرية بشكل جامد عقائديا بغض النظر عن الاوضاع الموضوعية وبدون رؤية الفروق الجوهرية في المجتمعات الانسانية والمراحل التاريخية .

وعلى هذا الضوء يتضح ان اميل حبيبي لم يكن في حاجة الى ان يتجاوز موقفه السياسي .. بل كان عليه ان يتوافق معه تماما .. فنتاج السياسي الثوري لا يتعارض مع نتاجه الادبي بل يتفق معه .. وكان من الضروري انتقاد كاتبنا لو تناقض نضاله السياسي مع تجسيمه معاناته او تجربته الادبية .

والان لننتقل الى انتقاد آخر ..

قال فيصل دراج ان لكع بن لكع « عمل متهاوى ومبتذل » !

ولكنه لم يفسر لماذا قال هذا الكلام الا اذا اعتبرنا بعض الاحكام الشعوائية سندا لهذا التقويم ..

ومن هذه الاحكام : « فقدان اميل حبيبي العفوية وتحوله الى سجين يسقط في وهم « التجديد » .. و « المباشرة » وهى شكل محكوم عليه بالاحباط ! لان العمل الادبي المباشر محكوم منذ البداية حتى النهاية ، بافكار سياسية عامة ، وذلك دون ان تدخل هذه الافكار في قالب ادبي بحيث انتهت الى ان تكون قولا سياسيا .

في راينا ان النقاش في هذه الندوة ــ التي لم تحظ حسب معلوماتنا بالترحيب بل اثارت الانتقاد ــ اتخذ هذا الاطار الشكلي وانزلق الى « الفذلكة البلاغية » ــ اذا صح هذا التعبير ــ لان لكع بن لكع فجر بمضمونه بعض القضايا الحساسة الذي احجم اكثر الادباء عن التطرق اليها خوفا ورهبة .

والا كيف يمكن ان نفهم هذه الفقرة من النقاش :

« في « لكع بن لكع » يبدأ اميل من القول السياسي المندد بكل ما هو سيء في الوطن العربي ويستمر القول من البداية الى النهاية دون ان يدخل ما يسمى بنظرية الادب وعملية التحويل الادبي فمعنى ذلك ان العمل الادبي لم ينتج » !!

ما هى العلاقة هنا بين ادخال نظرية الادب في العمل الادبي .. او عملية التحول الادبي ولكع بن لكع ؟

نعتقد ان المناقشين اختاروا اسهل الطرق حين ركزوا على البحث في الشكل دون المضمون .

ونعتقد انهم قاموا بذلك لانهم لم يرغبوا في مواجهة النقد اللاذع لمسيرة قيادات الشعوب العربية المتحالفة مع الامبريالية والرجعية والصهيونية .

قلنا كل هذا ، الذى قد يبدو مفارقة لاننا اردنا ان نفند هذه المزاعم ونضع الامور في نصابها ..

ففى راينا ان اميل حبيبي كتب لكع وبه طور اسلوبه ومضمونه ، ولم يكن اسير « المتشائل » او غيره من نتاجه الادبي ..

ماذا اراد ان يطرح ؟

اراد ان يطرح قضية الشعب العربى الفلسطينى في صراعه مع المتآمرين عليه بشكل جديد .. اراد ان يطرحها وجوديا .. لم يتطرق بها الى التفاصيل .. ولم يلجأ لذلك الى المنبرية او الى الشعارات .. اراد ان يرسم لوحات مبسطة ومركبة ظاهرية ورمزية تساعده على رصد تداعيات القضية الفلسطينية في العالم العربى .. واراد رصد العالم العربى من وجهة نظر فلسطينية .

ونتصور ان ما ازعج بعض القراء ، الذين يرفضون رؤيته السياسية ، لا اسلوبه الفنى الرشيق ان بعض اللوحات او الجلسات تهكمت على الشعارات الطنانة الفارغة من حيث المعنى والمضمون مثل الشعار ، الذى ارتكبت الرجعية ، باسمه الموبقات ، «امة عربية واحدة ورسالة خالدة» ..

وهل هناك افضل في تجسيم هذا التهكم من الحوار الكاريكاتيرى ــ الصبيانى قول « بدور » وترمز الى الشعب العربى في اكثر الحالات :

« دم دا دم دم جبل جبلبل واحدة ذات رسالة خالدة » ... « حبس حبسبس واحدة ذات رسالة خالدة» .

كذلك نعتقد ان من اللوحات التى اغضبت بعض المتزمتين تلك اللوحة التى تصور المزايدين الذين يحتلون مواقع واضحة على الساحة الفلسطينية .. وفى « مادبة الشواء » وهى الصورة السادسة في الجلسة الثانية امام صندوق العجب ، وتدور فيه معالم الحوار بين انصار اساليب معالم الحوار بين انصار اساليب الكفاح المختلفة .. ويبرز ممثل

المزايدين : « شارب الدم » بضحالة فكره وعدم جدوى ممارسته .
لقد وصفتُ رائعة اميل حبيبى انها « رؤية جيل » ..
هى لوحة حائط عملاقة (مورال) تظهر فى اطارها الواسع ، من المحيط الى الخليج ، الملامح الجوهرية فى العالم العربى واسرائيل ويتحرك فى مركزها الشعب العربى الفلسطينى.
« وفى مثل هذه اللوحة لا مكان لتدريج اهمية التفاصيل .. فكما ان فقدان احجار الفسيفساء يشوه الصورة الكاملة .. هكذا يخسر القارىء بعض المتعة الفكرية ان هو لم يتوقف عند كل موقف او حالة او حدث فى هذا المؤلف » .

وهنا يظهر الفرق بين العمل الادبى .. والعرض السياسى .. بين الابداع الادبى والتاريخ العلمى.
فلكع ليست عرضا سياسيا .. وليست تاريخا ، ولكنها — وهذا مصدر قوتها وجواز سفرها الى عالم الادب — ترسم اللوحة الحائطية او الصورة الفسيفسائية المؤثرة فى القارىء ..
وهنا يحق السؤال : ما هى معالم اللوحة ؟ وماذا يبرز فى الرسمة الفسيفسائية ؟
قد يجد القارىء فيها تناغما بين تحركات قطاعات الشعب العربى الفلسطينى فى اوضاعها المتباينة ..
وقد يجد فيها اصول الجريمة التى ادت الى نكبة هذا الشعب .. الاصول العربية بالاضافة الى الاصول الاساسية — الامبريالية والصهيونية ممثلة فى حكام اسرائيل ..
ولكن الامر الجوهرى عند تقويم هذا العمل الادبى يبقى الارتباط بين الشكل والمضمون ..
ونستطيع ان نقرر ان الشكل كان اصيلا — صندوق العجب والجلسات امامه ، وكان فنيا ، من حيث اللغة ، وكان دراميا من حيث ديناميه الحوار والحركة .. ولا يغير من ذلك بعض التعليقات التى قدمت للجلسة الثانية.
ونستطيع ان نقرر ان المضمون كان ثوريا تقدميا .. ادان قوى الظلام — امبريالية ، صهيونية ورجعية عربية .. وحذر الاجيال الصاعدة من مغبة السقوط فى الاوهام .
ان لكع بن لكع يجسم باسلوب ساخر لاذع دروس مرحلة زمنية تمتد اربعة عقود بدات فى عشية الحرب العالمية الثانية وشملت احداث وتطورات انقلابية .
ومن هذه الدروس الكفر ، لا بالامبريالية والصهيونية — وهذا ظاهر فى المؤلف — فحسب بل فى القيادات البرجوازية الصغيرة التى وضعت نفسها بديلا ثوريا للقيادات التقليدية الرجعية فانزلت بالشعوب العربية الكوارث بشعاراتها البراقة ولا تزال تخنق وتحبس وتشنق القوى الدمقراطية التقدمية ..
وفى الوقت نفسه حذر الكاتب باسلوب ادبى ، جمع بين الايحاء والمباشرة ، كما اشرنا ، الاجيال الصاعدة من « الطراطير » اولئك الديماغوغيين الذين يريدون فرض العمى الفكرى والشلل الحركى على شعوبهم ليبقوا فى مواقعهم فى الحكم والزعامة ..
ولكنه فى الوقت نفسه — وعلى الرغم من قرفه من اولئك الدعاة المزايدين الثوريين — احتفظ بتفاؤله ورسمه بضربات سريعة من ريشته فى الجلسة الثالثة من الفصل الاخير « الوجه المشرق » .
وبهذا رد على اولئك الذين ينتقدون الادب بذريعة اغراقه بالسياسة .. فهو لم يطنطن بالشعارات .. ولم يهتف بها بل جعلها تشع دون قرقعة لفظية او ايديولوجية .
هل وصل اميل حبيبى الى الكمال بهذا المؤلف ؟
لا نظن ان احدا يصل الى الكمال فى انتاجه الفكرى .. وخصوصا فى انتاجه الادبى والفنى ..
ولا نعتقد ان اميل حبيبى يزعم ذلك ..
ولكنى اعتقد انه بهذا المؤلف ارتفع الى مستوى اعلى من المستوى الذى وصل اليه بالمتشائل ..
احاول فى بعض الاحيان ان اقارن بين الاعمال الادبية العربية وغير العربية .. واحاول ان اطبق المقاييس المتعارف عليها بين النقاد لتقويم هذا العمل الادبي او ذاك ..
واعترف بانى كفرت بهذا التوجه منذ زمن بعيد .. وحين أمارسه الان اتاكد من ضعفه فى اكثر الاحيان .. ولذلك كتبت ان من غير الممكن ان نطبق المقاييس النقدية التقليدية على لكع ..
ومع هذا اردت ان امتحن من جديد هذه المقاييس واستذكرت احد كبار الكتاب الذى اراد تسجيل انطباعاته بدقة خلال عملية خلقه الادبى فكتب :
اذا اصر الكاتب على تقييد شخوصه فى اطار مخططه ، ومنعهم من التطور حسب تركيباتهمواوضاعهم والمؤثرات التى تطبعهم بسيماتها ، عندئذ لن يكونوا اناسا من لحم ودم بل يتحولون الى شخوص كارتونية ، الى دمى مصطنعة ..
واضاف : ان الكتاب المبدعين يدركون هذه الحقيقة .. حقيقة تمرد شخوصهم على مخططهم .. ويسمحون لشخوصهم ان تنمو وتتفاعل حسب منطق الاحداث ..
لا استطيع ان اصف معاناة كاتبنا اميل حبيبى وهو يكتب لكع بن لكع .. لا استطيع ان اقتحم عالمه الداخلى.. لا استطيع ان ادخل اجواءه او انقل اليكم شكوكه وتخبطاته ..
ولكنى لن اتجاوز الحقيقة اذا قلت انه سمح لشخوصه بالتطور ومنح رموزه الحياة .. ولذلك جاء مؤلفه اثرا هاما فى الادب العربى الفلسطينى .. وفى الادب العربى عامة .

كما خرجنا من ضلوع ابى سلمى وطوقان
سيخرج شعراء جدد من آلامنا

عز الدين المناصرة ، الشاعر الفلسطيني الذي عرف كيف يرعى اغنام والده في جبال الخليل المطلة على البحر الميت ، واتقن عمل « بائع اسكيمو » متجولا بين القرى ، وقسا عوده عندما كان يعمل «حمالا» في الاردن. صدرت له عدة دراسات عن « الفن التشكيلي الفلسطيني » و « العنصرية في السينما الاسرائيلية » و « عشاق الرمل والمتاريس » ـ مذكرات عن الحرب اللبنانية . كما صدرت له خمس مجموعات شعرية : « يا عنب الخليل » ـ ١٩٦٨ ، « الخروج من البحر الميت » ١٩٧٠ ، « قمر جرش كان حزينا » ١٩٧٤ ، « باجس ابو عطوان » ١٩٧٤ ، « لن يفهمني احد غير الزيتون » ١٩٧٦ . ترجمت اشعاره الى عدة لغات اجنبية ، وسيصدر له قريبا مجموعة شعرية جديدة بعنوان « جفرا ... لا تؤاخذينا .. ان نسينا أو اخطأنا » . بعد عز الدين المناصرة ، الان بعد غياب اربع سنوات عن بيروت ، اطروحته حول « الشعر وحركة التحرر الوطني ـ دراسة مقارنة بين الشعر البلغاري ضد الفاشية ، والشعر الفلسطيني ضد الصهيونية » ومركز اطروحته هو الشاعر البلغاري الثوري الذى استشهد على يد الفاشية نيقولا فابتساروف ، وسيقدمها في الصيف القادم لكلية الآداب في جامعة صوفيا .

وكان مندوب « الجديد » ومحرر « النداء » التقياه في صوفيا واجريا معه حوارا نشر في « النداء » اللبنانية وينشر في هذا العدد من « الجديد » .

نبدأ من جفرا .. التى تردد على ألسنة المناضلين .

✱ في عام ١٩٧٦ تركت عملي كمسؤول للقسم الثقافي والنشر في مجلة « فلسطين الثورة » وتوجهت للشياح . كتبت « جفرا » وكتبت « دم رام الله على حيطان بيروت » وكتبت : « ظل يركض حتى الرصاصة » و « الى الزيتون ان كان سيسمعني » ـ « يا اخضر ، انهم يتربصون بك » .نشرت « جفرا » في وقت واحد في « النداء » و «فلسطين الثورة» . وصدرت عنها القصص والحكايات بل والنكات .

وذات يوم جاءني الشهيد الملازم الشيوعي الفلسطيني خالد احمد عوض وهو اساسا عامل بناء : واخبرني ان مقاتلا شيوعيا قد لحن وغنى قصيدتي « جفرا » ، وذكر لي خالد المقطع الذى اختير وكان خالد ـ وهو امي ـ يحفظه غيبا . طلب مني الشهيد خالد ان اذهب معه ليعرفني على خالد الهبر وهذا هو اسم المغني السياسي الجديد . والتقينا فعلا في بيت احد الاصدقاء وهناك تجمع الاصدقاء وغنى خالد « جفرا » لاول مرة واذكر انني أبديت بعض الملاحظات كما أبدى الآخرون وتقبلها خالد الهبر بصدر رحب ولا اتذكر هذه الملاحظات . بعدها انطلق خالد يغنيها للمقاتلين ولتلاميذ المدارس وفي المخيمات والقواعد وعلى كل الجبهات واصبحت « جفرا » على كل لسان حيث حققت انتشارا لم احلم به . فقصيدة « جفرا » لم تكتب للغناء وهي قصيدة حديثة اشفقت على الناس من صعوبتها . لكن خالد الهبر كان موفقا في اختيار المقطع المناسب ، وكتب ذات مرة ماهر ابو زيد في « النداء » يقول ان المقاتلين في القنطاري ساهموا في اختيار المقطع مع خالد .

بعد ذلك علمت ان مارسيل خليفة قام باعادة تلحينها وغنائها ، وصدرت في اسطوانة في باريس ، وصوت مارسيل خليفة صوت حنون اعطاها اضافات جديدة ، مما ساهم في جعلها القصيدة رقم ١ خلال الحرب وبعدها بقليل .

وهو رمز حنون يهتز لسماعه كل فلسطيني . لقد حاولت في قصيدتي ان اعرب وامم « جفرا » ، وان اعمم ماساتها التي هي ماساتي على كل البشر في هذه الكرة الارضية .

والتجربة التي دعتني الى كتابة القصيدة هي ان فتاة فلسطينية اعرفها تركت فلسطين واتت الى لبنان فتاهت في المناطق الانعزالية وقتلوها . وليس هنا المجال لندخل في تفاصيل الحادثة ...

❋ عام ١٩٣٢ أول قصيدة من الشعر المرسل • كاتبها فلسطيني •

❋ عام ١٩٣٧ أول فيلم عربي مخرجه فلسطيني

❋ عام ١٩٢٤ ـ « ام حكيم » أول رواية عربية

❋ ما هي المراحل التي قطعتها هذه الحركة منذ ذلك الحين ؟

✱ اولا لنتذكر قول محمود درويش لابي سلمى « انت الجذع الذي نبتت عليه اغانينا » وانا شخصيا كتبت دراسة عام ١٩٧٥ عن ابي سلمى بعنوان « رضعنا شعرك صغارا مع لبن الامهات » .

هذه الاشارة تقول اننا نحن شعراء الثورة الفلسطينية لم نولد من الفراغ . ولكننا اخترنا اساتذتنا في النضال : ابراهيم طوقان ـ عبد الرحيم محمود ـ أبو سلمى من شعراء فلسطين قبل ١٩٤٨ دون غيرهم . الملاحظة هي ان هؤلاء الثلاثة لم يكونوا هم وحدهم الاكثر شهرة في فلسطين . الاعلام العربي والفلسطيني آنذاك كان يركز على شعراء آخرين من ابناء البرجوازية المتنورة والجاهلة . هل اقول لك ان شاعرا فلسطينيا كان معروفا في الثلاثينات مدح هتلر . نعم حدث هذا حين كان ابو سلمى ينشر قصيدته « انشر على لهب القصيد » عام ١٩٣٦ بالطريقة السرية حيث طبعت على الآلة الكاتبة ولم تنشر لها الصحف ، في حين كانت عشرات القصائد تكتب وتنشر لان الاجهزة الثقافية آنذاك كانت تريد ذلك . لماذا اخترنا الشعراء الثلاثة بل لماذا اختار شعبنا الشعراء الثلاثة ولم يختر غيرهم رغم حملات التضليل والتلميع الاعلامي لغيرهم . بل لماذا بقي الثلاثة في رحم الثورة المجهضة عام ١٩٣٦ لينتقلوا الى الثورة الجديدة عام ١٩٦٥ .

لماذا اعادت الثورة الجديدة الاعتبار لشاعر شيوعي مثل معين بسيسو كان ممنوعا أن يصبح نجما



عز الدين المناصرة : نحن لم نولد من الفراغ

... « جفرا » ، اساسا اسم تراثي فولكلوري فلسطيني معروف وقصيدتي لفتت الانتباه للرمز التراثي . جفرا معناها القاموسي : « العنزة الصغيرة الطرية العود » وفي الريف الفلسطيني يشبهون الفتاة الجميلة الصغيرة اليانعة بـ « جفرا » .

والشاعر الشعبي يغني :

جفرا وياها الريح
تحشى القطن بالخيش

واللى جوزها نذل
ترخى السوالف ليش ؟

واعتقد ان شابا فلسطينيا في العهد التركي كان يحب فتاة اشتهرت بجمالها ، فكان يغني لها في الاعراس وحتى لا يذكر اسمها الاصلي لان ذلك ممنوع تقليديا كان يلجأ الى اسم « جفرا » اي الفتاة الجميلة طرية العود .

ولكن قصيدة او رمز « جفرا » هو لفلسطين كلها ،

فى الصحف البرجوازية فاصبح نجما فى الثورة الجديدة وقد كان نجما جماهيريا . نحن اوفياء لتراثنا ولمن سبقونا حتى لو كانت لديهم اخطاء وحتى لو كان الاعداء يحاصرونهم اعلاميا . فليس سوى الحجر من ليس له اعداء .

فنيا هل تعرف ان شاعرا كلاسيكيا فلسطينيا كتب قصيدة من الشعر المرسل عام ١٩٣٢ . هل تعرف ان اول فيلم عربى طويل عام ١٩٢٧ مخرجه ابراهيم وبدرلاما من بيت لحم . هل تعرف ان اول رواية عربية فى العصر الحديث كاتبها هو الفلسطينى محمد احمد التميمى المتوفى عام ١٩٢٤ واسمها « ام حكيم » قبل احاديث عيسى بن هشام للمويلحى وقبل محمود تيمور . هل تعرف ان اول حزب شيوعى عربى هو الحزب الشيوعى الفلسطينى . ولهذا فنحن لسنا مقطوعين عن جذورنا النضالية والفنية .

وقبل النكبة ١٩٤٨ كان كتاب القصة : عارف العزونى ونجاتى صدقى ومحمود سيف الدين الايرانى وخليل بيدس ، كلهم من الكتاب الدمقراطيين . كانوا من اوائل من عرف بالادب الروسى الكلاسيكى والادب السوفييتى . ولهذا مات نجاتى صدقى فى بيروت قبل زمن قصير دون ان يلتفت له احد . لانه كاتب يسارى دمقراطى . خليل بيدس ترجم لتولستوى وديستويفسكى فى مطلع هذا القرن . خليل السكاكينى الناقد الانطباعى كان كاتبا متنورا ودمقراطيا .

بعد النكبة ظهر جيل من الشعراء : هارون هاشم رشيد — كمال ناصر — يوسف الخطيب — فدوى طوقان — معين بسيسو — توفيق زياد . . . وغيرهم .

وبعد النكبة ظهر : غسان كنفانى واميل حبيبى وجبرا ابراهيم جبرا وسميرة عزام . ولكن لماذا سقط ادب الخيام واقطاعيات البرتقال الذى لم يكن يمتلكه الشعراء بل الاقطاعيون . . . ويبقى شعر الثورة اليسارى . . ولماذا سقط الشعر العدمى الذى استخدم شكلا حديثا «جدا» فى آخر الخمسينات واول الستينات، ولماذا لم تنجح رواية ابطال البرجوازية الكبيرة ؟ لماذا بقى من الشعراء توفيق زياد ومعين بسيسو دون غيرهم ؟ وكيف جدد كمال ناصر شاعريته بدمه ؟!!

كل هذه الاسئلة يمكن ان تطرح عن جيل بعد النكبة . . حتى النكسة .

وبعد انطلاقة الثورة عام ١٩٦٥ ظهر شعراء جدد من رحم الثورة وانضم شعراء كانوا قد ولدوا ثوريين قبلها . وحتى فى زمن الثورة فان الامر يتكرر : يساهم شعراء كثيرون فى الثورة ثم تحدث الغربلة خلال الطريق الطويل الى فلسطين ، فيسقط البعض ويتوقف البعض ولا يتجاوز البعض نفسه . . . ولكن الفرز النهائى لم يحن وقته فقد يظهر شاعر جديد من الثورة اكثر قوة من درويش وبسيسو والمناصرة ودحبور . نعم قد يظهر هذا الشاعر الجديد ويجب ان يظهر ، وكما خرجنا من ضلوع وآلام ابى سلمى وطوقان ومحمود ، سيخرج شعراء جدد من آلامنا وجراحنا . وسنعمل نحن على اظهارهم .

وفى القصة والرواية : يحيى يخلف — محمود شقير — رشاد ابو شاور — توفيق فياض — فاروق وادى — ليانة بدر — على خلف — محمود شاهين — زين الحسينى . . . وغيرهم ، جميعهم ظهروا من رحم الثورة ، من عذاب غسان واميل .

وفى الداخل : سميح القاسم ما زال يتجدد . وتوفيق زياد وسالم جبران ونايف سليم من الشعراء ومحمد علي طه وسلمان ناطور ومحمد نفاع وعفيف سالم وزكى درويش من القصاصين .

وفى الضفة والقطاع شعراء وقصاصون : سحر خليفة — زكى العيلة — اكرم هنية — محمد ايوب — جمال بنورة — على الخليلى — عبد اللطيف عقل — اسعد الاسعد — خليل توما .

ولهذا فنحن ادباء شعب واحد مهما حاولوا شق البرتقالة الى قسمين والى اقسام . وهذه الاسماء تعنى ان اقدم شرحا طويلا — لا مجال هنا — للاعمال الادبية التى اصدروها وميزاتها الفنية .

لقد ارتبط الشعر الفلسطينى والقصة الفلسطينية بقضيتين : الشعب والوطن .

الاضافات على شكل القصيدة العربية التى قدمها « شعر الكفاح المسلح » كثيرة : لو قرانا محمود درويش الذى حل معضلة الايصال للجماهير والحداثة معا وكذلك نعل : المناصرة ودحبور وغيرهم . نحن لم نسقط فى « حداثة الثرثرة اللغوية المصطنعة » . نحن شعراء واقعيون ثوريون نؤمن بـ « الحداثة الثورية » والواقعية المرتكزة على ايديولوجية تقدمية . ولهذا نجحنا جماهيريا ونجحنا فنيا .

فى عام ١٩٦٩ نشرت مجلة « مواقف » فى عددها الثالث قصيدتى « مذكرات البحر الميت » لتحل مشكلة كانت قائمة : فقد كان الصراع ايديولوجيا بين التيار العدمى والتيار الواقعى . ولم يكن بين قصيدة النثر والشعر الحر . وقد اخطأ التياران حين رفض الواقعيون قصيدة النثر على اعتبار ان كتابها عدميون ورفض تيار الشكل المترجم من الفرنسية ان يكتبوا عن هموم جماهيرهم . وحين كتبت « مذكرات البحر الميت » كانت قصيدة نثر ولكنها ثورية . لقد استطاع بعض النقاد ان يضللوا القارىء العربى وحولوه الى صراع بين قصيدة النثر والشعر الحر . طبعا برايى وهذا

وهذا قلته فى السبعينات : المسألة ليست قصيدة نثر او شعر حر بل ان نكتب شعرا جيدا . وكلمة «جيد» هى كلمة اخلاقية وليست نقدية ولكنها هنا مجازية .
ولهذا كان الشعر الفلسطينى : درويش ــ القاسم ــ المناصرة ــ دحبور وغيرهم . قادرا على تحقيق المعادلة التى عجز عنها الشعراء العرب : اى الحداثة الثورية والجماهيرية .

اما بالنسبة للحرب اللبنانية فقد كان شعر الثورة الفلسطينية هو الاكثر وصولا للجماهير ، يمكن مراجعة « اعراس » درويش و « لن يفهمنى احد غير الزيتون » للمناصرة و « الان خذى جسدى كيسا من رمل » لبسيسو . هذه المجموعات الثلاث هى الاكثر جماهيرية بين الجماهير اللبنانية والفلسطينية .

لقد اضافت الحرب معنى جديدا على رؤياى السابقة ، لقد عرفت الجماهير وتعريفها بالممارسة ولهذا جاءت جراح الجماهير فى شعرى اكثر دقة من شعر الشعراء الذين يملأون قصائدهم بكافة انواع الاسلحة والجراح المزيفة دون ان يجرحوا الا فى صورهم البلاغية التى قد تكون جميلة . « والمنهج الجدلى الشامل » هو القادر على تمييز الشعر الجميل البلاغى الجديد المزيف ، عن الشعر الجميل الثورى الصادق . والصدق ــ طبعا ليس بحسن النية ايضا . فقصائد حسن النية دون الوعى لعملية الابداع الفنى هى قصائد ساقطة .

كل مجموعة شعرية
تختلف عن الاخرى
ولكن كلانا برتقالة واحدة

* ادب الداخل وادب الثورة الفلسطينية هو ادب واحد له فروع مختلفة . كلانا برتقالة واحدة . كلانا شجرة واحدة جذورها فى الجليل والقدس والخليل ونابلس واغصانها فى المنفى . ولكن ما يجمعنا هو ان النماذج الناجحة فى الادب الفلسطينى هى « النماذج الثورية » ... ويوجد شعر فلسطينى يعيش على فتات الانظمة ويتعصب لها ضدنا ، حدث هذا مرارا حين كان بعض الشعراء يصفون مع فكر الانظمة . ولكن ادب الثورة الفلسطينية ربما كان اكثر تقدما من حيث « الحداثة » ومن حيث الموقف النقدى الحاد من الفكر القومى الرجعى ، فى حين نجد شعر الداخل وادب الداخل اكثر بساطة واكثر التصاقا بالعروبة بمعناها التقدمى . ونوعية العدو ووضوحه بالنسبة للداخل جعل ادب الداخل اكثر وضوحا من الناحية الايديولوجية حيث انه يسارى بالطبع . طبعا هنالك ادباء غير يساريين ولكنهم غالبا شعراء وادباء درجة رابعة . بالنسبة لادب الثورة الفلسطينية فهو ادب وطنى دمقراطى بشكل عام ومنه اليسارى ... وهذا يحدث فى فترة التحرر الوطنى وادب الثورة الفلسطينية اكثر فهما بالنسبة لعملية الابداع الفنى بسبب قربه من الثقافات الجديدة ، ورغم ان هذا يصبح سلبيا احيانا حين ينجر شعراؤنا وادباؤنا احيانا وراء « صراعات الشكل الفنى المصطنعة » المترجمة من الفرنسية . ولكنهم يلتقطون بذكاء ما يزيدون من التيارات الجديدة دون ان يصبحوا تلاميذ لها . وبطبيعة الحال فان الظروف تختلف بين الداخل والخارج بين شكلى النضال : المسلح والجماهيرى ، البندقية والحجارة... ولكن جميع اسلحة النضال تسير باتجاه امنا الارض ، ففى الشعر والقصة فى الداخل والخارج تصبح الارض وخصوصيتها ومحليتها واناسها هى مركز التجربة الادبية . والفرق احيانا يبرز بين سجون العدو الاسرائيلى وبين سجون الرجعية العربية ... هل يوجد فرق . لا اعتقد من حيث الجوهر . ولكن الاديب الفلسطينى فى الخارج يشعر بظلم ذوى القربى واضطهاد العدو معا وبعده عن وطنه وتشتته النفسى والواقعى . ولهذا يتشابه الشعر الفلسطينى احيانا فى الداخل والخارج لان الموضوع واحد . ناهيك عن المعارك الجانبية التى تضطر الثورة الفلسطينية لخوضها مضطرة كدفاع عن النفس وتأثيرها على روح الادب الفلسطينى .

الشعر الجديد فى لبنان وهو باغلبيته شعر جنوبى ، هو شعر فلسطينى بمعنى ما ، ويمكن ان اقول ان بزوغ الشعر الجنوبى كشعر مقاتل برز تحت تأثير الشعر الفلسطينى والا لماذا برز شعراؤه بعد عام ١٩٧٤ فقط : حسن عبد الله ــ محمد العبد الله شوقى بزيع ــ جودت فخر الدين ــ محمد على شمس الدين ــ عباس بيضون ــ احمد ومحمد فرحات ... الخ . مع مساندة وتأثر بآراء واشعار الشاعر الكبير ادونيس . وقلق شعراء الجنوب الفنى نابع من محاولتهم ان يصبحوا جماهيريين كما الشعر الفلسطينى وان يكتبوا قصيدة حديثة كما ادونيس . الشعر الفلسطينى كما قلت حل المشكلة : الخصوصية فى البساطة وصدق التجربة عبر الرؤيا واللغة الحديثة . فالحداثة لا تعنى الهلوسات الشكلية المصطنعة والمترجمة ، وليست قصيدة المتهى، قصيدة الشرود الذهنى . اليوت يرى ان الشاعر وهو يكتب قصيدته يجب ان ينام ويشرد ولكن اذا شعر انه يوشك ان

يفقد وعيه وينام نهائيا فيجب عليه ان يعود للواقع . كذلك « الجماهيرية » لا تعنى الابتذال الواقعى والخطب الحماسية وحشد الالفاظ الثورية فى القصيدة . ولكن تيار الحداثة المشوهة يعود الى الرومانتيكية والسريالية الجديدة ذات الغطاء الواقعى . الشاعر الحديث لا يقرر ان يكتب قصيدة حديثة مسبقا ، بل حرارة التجربة وقدرة الشاعر الفنية وادواته هى التى تصنع قصيدة حديثة .

وينبغى عدم طرح « الحداثة » فى مواجهة « الشعر الثورى » تماما كما كان صراع الستينات : « قصيدة النثر » فى مواجهة الشعر الثورى ، وكان هناك تناقضا بين الحداثة والشعر الثورى . كما قلنا سابقا هناك قصيدة نثر رجعية غيبية صوفية وهناك قصيدة نثر تقدمية ثورية . كذلك هناك حداثة ثورية وحداثة صوفية غيبية . اما الثرثرة اللغوية فلا علاقة لها بالحداثة . كذلك لا علاقة بقصيدة الالفاظ الثورية بالحداثة الثورية .

ومصطلح « الحداثة » يطرح هذه الايام تماما كـ « موضة قصيدة النثر » فى الستينات لم يعرف احد « الحداثة » . انهم يعرفونها هكذا « ليست طويلة ، ليست قصيرة ، ليست سمراء ، ليست شقراء . انها بين بين » . ولا احد يشرح هذه الحداثة.

شعر الثمانينات سيكون أكثر نضوجا .. فشعراؤنا يتجددون باستمرار .

★ جيل الرواد يكتب الشعر الان ولكنه تكرار لتجربته الرائدة ومعظمهم توقف عن التطور فى حدود عام ١٩٦٥ او ١٩٦٧ . ما عدا شاعرين : ادونيس وسعدى يوسف المتأخر نسبيا من الناحية التاريخية فى الريادة . محمود درويش ليس من الرواد بل من شعراء الستينات اشتهر بعد عام ١٩٦٧ واعطى الشعر العربى الحديث دفعة الى الامام . كذلك سميح القاسم ليس من الرواد ولكنه بعد عام ١٩٦٧ اعطى الشعر العربى الحديث دفعة اخرى كزميله .

هذا هو الوضع حتى منتصف السبعينات حين ظهرت موجة جديدة فى الشعر اللبنانى ولكننا نستطيع الحكم على حاضرها المزدهر ولا نراهن على كل اسمائها مستقبلا . كذلك يمكن ان اضيف اسماء جديدة فى الشعر الفلسطينى بدات تشق طريقها فى اواخر السبعينات والمراهنة ايضا صعبة ، لفت نظرى اسماء : غسان زقطان وخيرى منصور وزياد ابو الهيجاء وسعاده سوداح وخالد درويش . وفى سوريا يوجد موجة من الشعراء الجدد : فرج بيرقدار ، رياض الصالح ، حسان عزت ، منذر مصرى ، اعتقد انهم موهوبون ، يضاف لذلك : نزيه ابو عفش وبندر عبد الحميد وهما شاعران ليسا جديدين ولكنهما يتجددان باستمرار . وهناك شاعر يتجدد باستمرار هو كمال ابو ديب .

ومن العراق يتجدد سعدى يوسف ونبيل ياسين وعبد الكريم قاصد وبرهان شاوى وطهمازى وفاضل العزاوى وصادق الصائغ . ولا بد ان اشير الى الشاعر السورى المقيم فى لبنان سليم بركات اشارة خاصة فهو شاعر اللغة البكر المتوحشة . وفى المغرب العربى هناك الشاعر محمد بنيس واللعبى ، ومن الاردن : امجد ناصر .

كل هذه الاسماء القديمة التى تتجدد او الجديدة مضافا لها ادونيس ودرويش ، يمكن ان تشكل خارطة ويمكن ان نقول من خلال قراءتها ان شعر الثمانينات سيكون اكثر نضوجا فقد جرب الشعر العربى الحديث — فى الماضى — التعصب للحداثة الشكلية وجرب التعصب للواقعية المبتذلة والشعبية المصطنعة ولا بد ان يكون قد استفاد من كل ذلك .

فلسطينى يكفر باسطورة سيزيف

بقلم : رياض حنا بيدس ـ شفاعمرو

(لكاتب قصة : « فصل من رسالة السخرية » ، وللابطال المناضلين الذين يموتون فى زنازينهم من أجل أوطانهم) .

.....

قال متبرما للمرة الاخيرة :

ـ اسمع يا ابو مجاهد ، هذه هى المرة الاخيرة التى احاول بها ردعك عما تقوم به ، الا توافقنى بأن هـــذا ليس لصالحك او لصالح الآخرين ؟

اجاب ابو مجاهد بلهجة حازمة :

ـ لا فرق بين مصلحتى او مصلحتهم . كلنا فى الهوا سوا .

أردف المحقق متوددا :

ـ دعك منهم . ثق انهم لن ينفعـــوك .

نفر ابو مجاهد . ارتعدت فرائصه غضبا . سرت كلمات المحقق سريان الدم الفاسد فى اجزاء جســــده المنهك . تشنجت اعضاؤه جميعا ، بينما كانت عينـــاه تكتسبان الشراسة وهى تنظر الى وجه المحقق الساكن فى مكانه . لم يقم بأى حركة من شأنها ان تحطم جدار التوتر السميك الذى خيم فى ارجاء هذه الغرفة الضيقة .

لم يحر جوابا .

عينا المحقق تطالبانه بالحاح شديد باجابة ترضى رغباته ، اذ ان البريق الذى كان يشع منهما كان بريق تساؤل و « استجداء » لابى مجاهد الجالس قبالتـــه كالجبل الذى لا يهزه ريح .

طال حبل الصمت اكثر من المتوقع .

فكر المحقق :

« يجب المبادرة لكسر حاجز هذا الجمود » .

خيوط المؤامرة الداكنة تتغلغل فى مخيلة ابى مجاهد مع حركة دورته الدموية المتواصلة حبات العرق المتفصدة من جبهته العريضة لحد انفه تتســاقط على شفتيـــه المتعطشتين للماء . يلعق ما لصق بهما . مذاقهما المالح يثير فيه احاسيس غريبة .

الصخرة تكبر امام هذا المحقق / الطاغـــوت الضخم . انها هم . لا ، لن يتخلى ابو مجاهد عنها . تظل تكبر وتحتل مساحة واسعة . اباستطاعتك تركها ورائك يا ابا مجاهد ؟ لا ! اما هم ينتظرون هذه الفرصة الذهبية . ستلازمنى الصخرة مدى حياتى / انهـــم احبائى الاعزاء » .

وهاجمت صور ابناء قريته الابرياء مخيلته . ما زالت اقوالهم تتشابك مع ذكرياته العديدة :

ـ « انشا الله تظل لنا يا ابو مجاهد ، كى تدافـــع عنا .

ـ « انت اكثر من ابن قرية ، انت اخ لنا .

ـ « رح الى اى مكان يا ابو مجاهد وخذنا معـــك كى لا تطولك يد الاذى ابدا » .

ـ « لا ، لن آخذكم معى الى هـــذا الطاغـــوت / العاتى . لن اتركم مهما جرى . انتم الصخرة التى لن اتخلى عنها مهما حدث لى . لا ، لن استسلم لوحشيته الباردة المرعبة » .

وتتالت علامات اسئلة الاستفسار عمـــا يجرى له فى عينى المحقق . ترتز من هذا الصمت الحـــاد . تململ فى مجلسه :

ـ ها ، ماذا قررت ؟

حدق أبو مجاهد به بعمـــق ، ثم اندفـــع سيـــل الكلمات من فيه كاندفاع الحمم من البراكين :

ـ ارفض ايها المحقق تلبية طلبك . يعز على ابنـــاء قريتى . احبهم كمحبتى لاولادى ، فهم صخرتى وانـــا صخرتهم .

جحظت عينا المحقق . ضرب الطاولة التى يجلس جنبها براحة يده :

ـ اخطأت يا أبو مجاهد ، ولا تنس ان الخطأ مردود . فكر بالامر كثيرا ، لانك ستعذب عذابا عظيما من الان فصاعدا .

ـ ٢ ـ

دفعه المارد ذو الجثة الضخمة المكتنزة لداخـــل الغرفة الضيقة .

اجال بصره فى انحائها عله يعثر على شىء يهدىء من حدة خواطره المضطربة .

فراغ . صمت مطبق . جدران باهتة تائهة .. وقف فجاة فى وسط الغرفة متصالب الذراعين .

شلال من المشاعر الحادة العنيفة سيطرت عليه . لم يدر اذا كان مردها القلق والخوف والرهبة وتوقع السوء . منذ دخوله هذه الغرفة الواسعة الارجاء الفاغرة فمها لتلقفه بشدتها الرهيب داخله احساس بمدى تفاهة الانسان حين يحاصر فى غرفة مخيفة مع مارد منتفخ الادراج .

اقترب منه المارد بخطوات وئيدة ذات ايقاع وحشى نشأ من اصطدام نعلى حذائه ببلاط الغرفة ، ثم تسمر فجاة فى مكانه محدقا به بغضب عاصف .

تداعت الصور الجميلة فى مخيلته بسرعة شديدة:
« القرية الوادعة الهائئة . اشخاصها الطيبون المخلصون / انهم الصخرة التى لا يقوى اشد المردة عنفا على تفتيتها . واستذكر منظر الحاجة باقية وهى تقول باسف مرير :

ــ يا ويلى علينا ، من يوم ما رايناهم ما شفنا الا خراب الديار واللط المشؤوم على النياع . من يومها ما شفنا نهار ابيض ... يكفينا هذا مسعود العبادى العميل الزفت .

وبانت بسمة بريئة على شفتي ابي مجاهد .
« آه ، على تلك الاماسي الجميلة التى كنا نقضيها مع الحاجة باقية .. لا بد ان مجاهد وامه يسترسلان الان فى الحزن ، بينما تردد الحاجة بيأس بالغ :
ــ قلت لكم ، لن نرى نهارا ابيض . وتدق صدرها بلوعة عميقة .

ايها الحاجة ربما كنت تقولين اى شىء آخر . انا هنا . لا تستسلموا للحزن . ساخرج . سيضربنى هذا المارد ، لكن كل كلمة تنطبع على جسدى . انه يضربنى بلؤم .

جهز المارد قبضته . تقدم اكثر . المسافة التى تفصل بينى وبينه تكاد تكون اقل من اربعة اشبار . المارد يضغط على عضلاته المنفوخة . ترتفع يده . تتهاوى على وجه ابى مجاهد . بتداعى على اثرها . يرفعه

ويكيل له اللكمات . ينزف الدم من وجهه . تشققت شفتاه . يتحسس وجهه فيلتصق بيديه قليل من الدم المتخثر على محياه البائس . يزم على شفتيه كاتما الكثير من الآنات فى داخله .
« لا تستسلم . هذا مجرد امتحان عابر . ساخلص لاهل القرية للابد ، حتى لو كلفنى حياتى . احبهم كمحبتى لابنائى الذين لا افرق فى محبتى للواحد عن الآخر » .
تشنجت عضلات وجهه لشدة الالم . الدم ينزف من انفه والمارد يقترب منه اكثر واكثر متابعا عمله براحة وهدوء ، بينما يزداد شعور ابو مجاهد بمعنى الموت ، اذ انه احس ان الموت وحش ذو رائحة نتنة يتمثل امامه الان باوضح صورة .

الضرب يتزايد . والرفس يتتالى على اليتيه المخدرتين وظهره المهدود . يشعر ان الموت يدانيه بسرعة رهيبة . يخفى راسه بين يديه . ينثال الرفس على ظهره وهو ممدد عاجز عن الحركة . انه مشلول تماما لا يستطيع زحزحة جسده لاحدى الزوايا ، لاتقاء ضربات هذا الوحش العنيف .

« اياك والهزيمة . باى وجه ستلاقى اهل القرية ؟! تحمل . الصبر مفتاح الفرج » .
ويرفعه المارد عن الارض سائلا اياه بعنف :

ــ اتوافق على ما طلبوه منك ؟
وبهزة من راسه رفض طلبهم ، بينما تابع المارد عمله باخلاص تام .

ــ ٢ ــ

قال له المحقق فى اليوم الرابع حين مثل امامه بجسمه الناحل المنهك ووجهه الاصفر الشاحب :

ــ اربعة ايام وانت تعذب ، اما نويت الاستسلام ؟! اذا ما نظرت الى نفسك فى المرآة فلن تصدق انك أنت ابو مجاهد . صرت اشبه بالحى الميت .

ــ انتم الاحياء الميتون .
ربت المحقق على كتفه ملاطفا اياه بخبث ودهاء الثعلب :

ــ كن حذرا يا ابو مجاهد . لو رايت وجهك البائس وجسدك الضامر فى المرآة لتراجعت عن مواقفك

وتعاونت معنا . انك لا محالة مائت اذا ما بقيت على هذا الحال . فطورك وغذاؤك وعشاؤك الضرب . دعك من اهل القرية ، انهم يتركونك لوحدك . انت وحيد ومعزول الان . رصيدك الوحيد فى هذه اللحظات هو العذاب وال .....

واختنقت بقايا حروف الكلمة فى حلق المحقق فقد انتفض ابو مجاهد بجسمه الضعيف :
ـ انى رهن يديك ايها المحقق ، اقتلنى . افعل ما شئت . لن استسلم ، ان زهور قبرى ستخيفك واصداء صوتى ستبقى ماثلة فى راسك لابد الآبدين . لا ، لن استسلم .

تقدم المحقق منه وقال بلؤم شديد :
ـ سنرى من سيتغلب على الآخر .
اتكأ ابو مجاهد على الحائط ملتقطا انفاسه بصعوبة بالغة ، ثم سار واهنا متمايلا ذات اليمين واليسار ،وقبل أن يخرج من الغرفة الكريهة سأل المحقق بلهجة حازمة :
ـ متى ستسمحون لعائلتى بزيارتى ؟
ـ سنرى .

ـ ٤ ـ

واخيرا راى افراد العائلة .
تقدموا منه بسرعة . اخذوه بين ايديهم وامطروه قبلا وكلمات حارة دافئة مشجعة .

لكن الحاجة باقية ثابتة فى مكانها مذهولة من شكل ابى مجاهد الذى تغيرت وتبدلت احواله . انتابها احساس بان نهايته أمست وشيكة .
« لن يصمد اكثر . وجهه الشاحب شحوب الاموات وشفتاه المزرقتان وهزاله الرهيب وعيناه الغائرتان فى محجريهما لا تدل الا على نهايته القريبة » .

خبطت على صدرها أبعدتهم عنه . حدقت اليه ، ثم قالت مستنكرة :
ـ هكذا فعلوا بك اولاد الكلب .
واشارت بيدها لآثار الضرب :

ـ انظروا ، الله يمسخ المعتدى .
وضمته برفق الى صدرها .
منذ دخولهم ورغبة دفينة تراود ابو مجاهد ، اذ ود لو يستطيع الخروج معهم والعودة للبيت كعودته كل يوم من الحقل الى البيت مع رفاقه الفلاحين ، الا انه صرف هذا الخاطر الخيالى بعيدا عن تفكيره ، وتظاهر بمظهر غير الآبه لعذاباته ولتردى صحته ، لكن اقل حركة كان يقوم بها كانت تؤلمه كثيرا وتدل على وضعه البائس .

سأل عن الجميع . بعث بسلاماته الحارة للاعزاء . واستفسر بشكل خاص عن اوضاع القرية ، فاجابته زوجته :

ـ انهم صخرة يا ابو مجاهد . ستتسلق الجبل بفضل كفاحك وكفاح اخوانك .. ستصل القمة .
انبسطت اساريره ، فقال مبتهجا :

ـ هكذا اردنا ان نكون دائما . هكذا ، وليس غير ذلك .
وتابع بعد ان ركز ابصاره على الحاجة باقية :

ـ تحققت الامانى يا حاجة ، تحققت .
وقبل ان ينتهى الوقت المحدد للزيارة سألته الحاجة باقية عن سبب سجنه غير المعلن فرد :

ـ بتهمة انتسابى العلنى لاهل قريتى هذا يهددهم ويؤرقهم . وبعد ان دار بوجهه الاصفر على الجميع منكثا . قال بهمس كما لو كان بالفعل للحيطان آذان :

ـ وهذه تهمة امنية خطرة جدا ، احذرونى !
ابتسم الجميع لهذه الكلمات وفرحوا لرؤية ابى مجاهد .
وانصرف الجميع قلقين لحالته المزرية هذه ، رغم تظاهرهم امامه بالهدوء .
لكن قبل ان يدلف مجاهد داخل بيتهم الذى ترشح اجواؤه بالحزن العميق قال :

ـ تبدو امائر التعب والانهاك على وجه ابى بشكل واضح جدا ؟
اجابته امه مغتمة :

ـ ماذا سنفعل ؟! كبر البيدر ولا شماتة العدى . لو شعر بقلقنا لاضطرب وساءت حالته اكثر . الصمت احسن حل حتى تنفرج وتهون .

قصـــائـــد

مرثية لنجلاء وطيور النهد

شعر : شوقى بزيـــع

لم تمـــت
كان ذلك محض ادعــــاء ،
ان نجـــلاء* لا تحسن الموت
لم تتعلمـــه فى الكتب المدرسية ،
لن تجدوا اثـــرا للرصاصة بين دفاترهـــا
لقد ذهبت لتعـــود
ذهبت لترى ذلك الطائر المدلهم على طرف الغيم
ها هى تمشى الى جبل الزعفران الصغير
ملكة بثلوج الفراغ ورائحة الشاى
ترى غيمة فتتاخمهـــا
زرقة فتحاذى دوار السمـــاء البعيد
وتهوى على كوكب يتـــلاشى .

* * *

لم تمـــت
لكنما الشعراء الذين تولوا حراسة احلامها
انطفاوا
والغبار الذى ثار حول ابتسامتها
عاد منذ قليل الى الهداة الفاجعه
والذى اطلق النار القى اصابعه فجـــأة
والاذاعات كذبت الشـــائعة
ولم يذكر الستة الاخرون اسمها بينهم
لم تقل امها انها ارتطمت بجدار الحقول
وابوها هوى قبل أن يفتح البـــاب
لم يقل حزبهـــا انها تحسن المـــوت
او اى شىء لـــه طعمـــه ،
فمن احضر الجثة السابعـــة
الى ساحة القتل ،
من امر الناس أن يذرفوا الدمـــع
او يرهفوا السمع للجثة الساطعة
آه نجلاء كم ينبغى أن نكذب ابصارنـــا
قبل أن يسقط القلب فى الحفرة الرائعة .

* * *

ان نجلاء لا تحسن المـــوت
هوذا الانكسار المراهق فى صدرهـــا
هو ذا قمر الكتفـــين
وقمح اليدين الجنوبى
كيف تذبل تلك البراعم فى جسمهـــا
وتلك الثمـــار التى انعقدت فوقه
كيف تسقطها طلقة واحـــدة ؟
وكيف تضيق المسافة بين الزفاف وبين القطـــاف
الى ذلك الحـــد ؟
لماذا اتيتم الى موتهـــا
من دعاكم الى الاحتفال ؟
لا تقيموا على قبرها ماتمـــا
ابعدوا النائحات عن الشـــاهدة
ان نجلاء تأمركم ان تعودوا
كل ليل الى نجمه
كل عاشقة نحو عاشقهـــا
من كان منكم بمثل نضارتها فليكف عن الحزن
انهـــا لم تمت
ولكنهـــا تتذرع بالصمت
تتبع نحل الكلام الى عسل الروح
وتتركنا فى جحيم الخنادق والغرف الباردة
ان نجلاء لا تحسن الموت
انظروا كيف تاتى البلاد اليها
كيف تخرج خلف السواد الذى لا تراه
ونلمح اضرحة تتقدم من دمهـــا
يتقدمها صبية يلعبون على شجر الانتصار
البعيـــد
ونسمع قرع طبول على الماء ،
نسمع حول يديها نحاس البحار ،
هتاف الجبال الحمـــاسى
يسالنا ان نتابع ... احلامها الهامدة .
نجلاء ماذا فعلت لكى تصلى دون خوف الى

الكتابة على ورق الصفصاف

شعر : عبد الناصر صالح

انها وحدتى/ وحدتى/ وحدتى
دعوتك ان توقفى الزمن المتفرس
ان تحتوينى برفق الامومة
نزف الاحبة ،
هذا نشيجى الاخير
صلاتى الاخيرة .

●

انها وحدتى ،
اختبى فى الزلازل ،
فى نوبات البراكين
تنصهر الارض فى راحتى
ترتجف السماوات المغطاة بالزرقة الكاذبة

واندب ليل التوابيت
ليل المراثى / الطواغيت
ادعوك
ادعوك

هذا افتقارى لسنبلة فى الحقول
تحبيى على طفلة فى السيول
وهذا افتقارك ، هذا نحيبك
فانبعثى فى الحنايا .

●

انبعثى فى عزلة الموج
فى حرقة الاعين المستكينة ،
فى جثة تعتريها الطقوس الغريبة
اقرأ اشكالها فى الزوايا .

●

يبادلنى الفقر والوعد والصهوة الثاكله
يبادلنى الموت والزلزله
يبادلنى الوحدة القاتله
ذهابك / هذا الذهاب النجلى
والموعد المر
يرفع فى داخلى معبدا للكوارث مأذنة
للمنافى .
يتيما على ضفة المستحيل
يبادلنى النطق والقصص البارده
وتنشدنى الاغنيات الذبيحة
تنشدنى الظبية الشارده .
يتيما على شرفات التصور / السجون / البنايات
احمل قلبى على راحتى المجهده .
واكتب للفقراء / الجياع / اليتامى
واكتب للارض / للميتين
واكتب ، اكتب
لا تستريح الكتابة
اكتب ، لا ينضب البحر
اكتب /
انى دعوتك فى نزق النار
فانتشلى مهجتى .

●

(طولكرم ـ الضفة الغربية)

الموت ؟
هل سمعت دوى الرصاص ،
هدير التراب الذى ليس يهدأ ،
نبض المياه الخفى
واغلقت خلفك نافذة الوطن الساخنة ؟
كيف خرجت الى شرفة البيت سهوا
الم تسمعى جرس الساعة الثامنة
ينادى على الفتيات الصغيرات ؟
الم تصرخى للحقول الصديقة
او للطيور الطليقة
او تسالى فى الصباح عن الطرق الامنة ؟
ونجلاء تجرى الى حجر هادىء وتخيم فى الصمت ،
تبحث خلف كمين الزهور
عن الزهرة الخائنة
ونحن نشاهدها كيف تهوى
نرى جسمها المتدفق ،
ومريولها المدرسى
ونرى خمس عشرة زنبقة تتضرج بالصمت
والفتنة الآسرة
اننا نتسلق متراس احزانها
لنرى كيف تضرب جثتها عمق هذا الفضاء العدو
وننقب منتصف الدائرة .
لم تمت .
ولكنها سبقتنا الى النوم
او سبقتنا الى الزرقة الساحرة .

عن « النداء » اللبنانية

(*) احدى ضحايا مجزرة دير قانون ـ النهر السبع

بطيئا بطيئا يكون الرحيل

شعر : ابراهيم عمـــار

(الى تغريد البطمه عروسا لهـــذا الوطـــن .)

تستطين نجـــاة
اراك كريش الحمائم بيضاء بيضاء
وكنت تدورين حول الرصاص المفاجيء
كنت تغنين بعض القصائد فى الصمت
وتنتقلين الى عتبة المدرسة ،
كيف تحـــاول هذى الفتاة العبـــور الجرىء ؟؟
فيسقط اسمك بعضـــ حروف على مفرق الدرب
بين المواجع والاغنيات القصيرة
ــ اكتب أن الرذاذ الذى يتســـاقط فوق المدائن
هو الاغنيات
وان العرائس لا ينتظرن الربيع
ليحملن اطفالهن الى الراهب الذى يسكن هذى الجبال ،
متى تستطيعين هذا الحضـــــور الفجائى

وانت على موعد مع الموت والزهر
فى اوان على المقصلة .
ــ احبك
قالت وفاجأها الدم صدفة
فاخضر صوت العصافير
وكانت تحاول رســـم الخريطة داخل كراستها
فيسقط جبل الكرمل
تسقط حيفـــا
تسقط يافـــا
وكانت تجمع تغريد اسماءها
تحاول أن تستقر على مسقط الجرح
او ان تنوء بحمل يعادل وجه فلسطين .
ــ هذا هو الزمن الصعب
بلاد من الورق الاصفر والاحذية
ونابلس

فتاة تحاول ان تستقر
فيسقط فيها الرصاص المفاجيء
يخرج طفل وفى يده قطع من السكر
او من الصخر
يلقى على دبابة صادف خارج مخيمه
او يفجر سيارة تمتلىء بالجنود
اطفل برىء يفجر دبابة فى الطريق ،
اطفل يحاول أن يستعيد السكون
ويمحو بقايا سيارة تمتلىء بالجنود !!

* * *

تستطين على جمرة الصدر
نجـــاة
وتنتقلين الى العرس بثوب جديد
هيه تغريد
اغسليني بصوتك
او فاستعيدى بقايا دماك !!

القـــدس

خلجـــــات

شعر : ضرغام جوعيه

وصرخت من تعبى
وعـــاتبت القدر
لما عرفت الليل ،
هذا الليل لن يلد القمر
وبان فـــارسنا
على درب الضيـــاع
قد اندحـــر
وعرفت انى الان

مرت سحابة خضراء
تأتى بالمطر .

* * *

الريح يا اماه تصلبنى . وتصلبنى
كحبات الرمال على
شرايين الحجر
والبحر يعزف اضلعى نـــايا
على نغماته السكرى

سينتحر الوتر
فأذوب متحدا انا والغيم والانهار
متحدا مع الدنيـــا
واغرق مثل ماء المزن
فى الم الشجر
حب الفراشات الطموحة انها
تفنى معانقة حراب اللؤم
فى شفة الزهر .

عن مجموعة محمد نفاع الجديدة (كوشان)

والقصة المحلية التي نريدها

بقلم : نبيه القاسم

لا اتعدى الحقيقة اذا قلت : ان محمد نفاع واحد من ابرز كتاب القصة القصيرة عندنا .. وانه استطاع ان يرسي قاعدة متينة لهذا الفن الادبي.. ويعطيه نكهة فلسطينية تتداخل فيها كل الجزئيات لتشكل وحدة تتفرد عن غيرها .. وتتشامخ عن غيرها ..

ولا اتعدى الحقيقة اذا قلت ايضا : ان محمد نفاع اغزر كاتب قصة عندنا .. وقد يكون من بين اغزر كتاب القصة القصيرة خارج ادبنا المحلي .. حتى تفاجأ به يكتب لك عن حدث لا تتصور انه يصلح موضوعا او حافزا لكتابة قصة ، وقد تراه يكتب قصة .. وينشر قصة .. ويفكر في كتابة قصة .. في وقت واحد ....

وحقيقة لا يختلف فيها اثنان : ان بيت جن .. بلدة الكاتب .. هي الملهمة الخالدة.. فهي مسرح معظم قصصه .. واهلها ابطال القصص .. فكل موقع في بيت جن .. وكل كلمة .. وكل نكتة .. وكل شتيمة .. وكل مثل شعبي .. وكل لفتة وحركة .. تجد له مكانا في قصص محمد نفاع .. حتى بات محمد نفاع أسير بلدته ، اذا خرج من اطارها يفقد توازنه .. وتهتز قواعد فنه .. فيعود مسرعا اليها .. ولو كان في موقع بعيد عنها..

وهذه الحقيقة الملفتة لانتباه المهتم بادب محمد نفاع .. جعلت الصديق محمد علي طه .. وبذكاء خلقي يهدي قصته الاخيرة التي نشرها في العدد السابع من مجلة « الجديد » (وردة لعيني حفيظة) الى الصديق الكاتب الذي ابى ان يترجل عن الجرمق ، محمد نفاع .. وبهذا الاهداء الذكي قد يكون الصديق محمد علي طه اراد ان يقول لمحمد نفاع : كلنا نحب بيت جن .. واهلها .. ومواقعها .. وكل ما فيها .. ولكن يا صديقي .. رفقا بغيرها في بلادنا الجميلة الحبيبة .. كذلك قد يكون اراد ان يقول له : كلنا نعرف بانك كاتب القصة القصيرة عندنا .. ولكن يا صديقي قد يمكنك الفكاك من أسر أسلوبك الذي قيدت نفسك به .. وان تكتب باسلوب متجدد متطور آخر .. وطالما ابدعت في اسلوبك السردي .. فلا شك ستبدع باسلوب جديد وتضيف لفنية ادبك اضافة جديدة .



محمد نفاع

وقبل مدة قصيرة صدرت عن (مكتب الاسوار) مجموعة محمد نفاع القصصية الاخيرة (كوشان – ١٢٤ صفحة من الحجم المتوسط –) وقد صدرت خالية من الفهرس .. وتفتقر لبعض اللمسات الفنية.. الامر الذي يدفعنا لتنبيه اصحاب دور النشر في بلادنا الى اهمية دورهم .. ووعيهم .. واحترامهم للمادة الادبية التي يصدرونها .. فليس يكفي ان نلقي باللائمة على الكاتب .. او على المنتج .. لننفض ايدينا من المسؤولية .. فان تخرج مجموعة ادبية بشكل فني غير لائق .. وباخطاء مطبعية مثيرة للغضب .. وبدون فهرس بمحتويات الكتاب .. من مسؤولية صاحب دار النشر .. وهو وحده الملام ...

تساؤل لا بد منه :

ماذا اطلب من كاتب القصة عندنا .. او من كاتب القصة عامة ؟

يلح عليّ هذا السؤال كل مرة اجلس لاتناول مجموعة قصصية تخرج الى الاسواق.. واذا فشلت في الجواب .. عزفت عن الكتابة.

لكنني ازاء مجموعة لمحمد نفاع لا اواجه هذا الفشل .. لانه كما اوضحت من ابرز واغزر كتابنا .. وعليه تقع مسؤولية كبيرة .. نطلبها منه .. ونناقشه اذا نسيها او تجاهلها ..

ما نطلبه من كاتب القصة ببساطة أن يكتب عن الناس .. لاجل الناس .. بصورة جميلة ومتقنة .. واعني بالكتابة عن الناس .. ان يعي الكاتب مختلف جوانب حياة الناس .. وما يرافق هذه الحياة من هموم حياتية وفكرية وسياسية واجتماعية الخ ... وعلى الكاتب الا يتمحور في جانب واحد وبفترة زمنية واحدة لانه بذلك يفقد ادبه القيمة .. ويخرجه من اطار الناس .. وقد يحدث ان ينجذب الكاتب الى مجتمع محدد .. والى نماذج معينة .. فيتمركز فيه .. ويتحجر عنده .. فيصبح ادبه صورا متكررة تفقد وهجها بالتدريج .

واعني لاجل الناس : ان يضع الكاتب نصب عينيه مصلحة الناس وخيرهم .. فيكون ادبه عاملا لخلق واقع افضل .. مبعدا للتشاؤم .. مؤكدا امكانية النجاح والتغيير.. رافضا لكل انواع السلبيات .. وداعيا لكل دلائل الخير والتفاؤل ..

واعني بصورة جميلة ومتقنة : ان يهتم الكاتب بفن الكتابة .. فلا يتحجر في قالب معين .. وانما يعمل على تجديد انماطه واساليبه .. ولغته .. وان يستفيد من تجاربه وتجارب غيره فيتجدد دائما ويبدع .. كذلك اعني ان لا ينقل الكاتب عن واقعه نقلا فوتوغرافيا .. وانما اقصد ان يعرف كيف يختار من الواقع .. وكيف يصور وينقل هذا الواقع .

وفي البدء كان الكوشان :

ان نختار اسما لمولودنا الجديد .. امر صعب .. وعملية تعذيب طويلة .. لكن محمد نفاع كان موفقا في اختيار اسم (كوشان) لمجموعة قصصه الاخيرة .. فالكوشان هو الهوية التي يحارب بها كل واحد من ابناء شعبنا هنا سياسة مصادرة الارض العربية .. وهو السلاح الذي يشهره واحدنا امام من يصفنا بالغرباء.. ومن يدعي ان الارض ليست ارضنا .. والتوفيق كان لان معظم قصص المجموعة تدور حول الارض .. وحب الارض وفداء الارض ..

قصص المجموعة :

تضم المجموعة القصصية الجديدة احدى عشرة قصة .. تتداح على فترة زمنية ما بين عام ١٩٦٦ - ١٩٧٩ يجمعها خيط قوي .. هو الكوشان .. كوشان الارض .. وحب الارض ..

وهذا الاختيار للقصص كتبت في فترات متباعدة.. امر يزيد من صعوبة تحديد جوانب التطور والتجدد في ادب الكاتب .. خاصة اذا اهمل الكاتب الاشارة الى تاريخ كتابة كل قصة .. مما يضع الناقد امام مشكلة في تحديد قيمة هذا العمل الادبي او ذاك .. وفي مجموعة الكوشان نجد قصة كتبت في عام ١٩٦٦ (بدوح اسلب بدوح) وقصة سنة ١٩٦٨ « لاننا نحب الارض » («الجديد» / ايار ١٩٦٨) وقصة كتبت في عام ١٩٧١ (قصة واحدة من كثيرين - «الجديد» / تموز - آب ١٩٧١) وثالثة كتبت عام ١٩٧٩ (قصة الناطور - « الجديد » / حزيران ١٩٧٩) .

موضوع قصص المجموعة :

تدور مواضيع قصص المجموعة حول تشبث الانسان العربي هنا بارضه .. وحقوقه في الحياة كانسان له كرامته .. وتبرز تصدي الانسان العربي للسياسة المعادية لكل ما هو عربي .. كما انها ترصد حوادث معينة وفترات نضالية عاشتها جماهيرنا العربية .. فقصة كوشان تصف حالة التشرد التي عاناها انساننا عام ٤٨) وقوة تعلق هذا الانسان بارضه التي عاد اليها في شخصية الفادي لها .. وتؤكد على مدى العلاقة الوثيقة التي تربط العربي هنا بالعربي هناك ، وان القضية واحدة والمصير واحد . وقصة (لاننا نحب الارض) تسجيل لفترة نضال خاضتها جماهيرنا العربية في سنوات الستين ولا تزال ، ضد سياسة مصادرة الارض العربية . ومثلها قصة (تمرين في الدفاع المدني) . وقصة (بدوح اسلب بدوح) تسجل وضعا لحياة سكان القرية الذين لا يزالون يؤمنون ببعض الشعوذات السحرية.. وترسم بشكل جميل علاقات الحب بين شباب وصبايا القرية .. وقصة (العلم) ترصد الوضع القائم في مدن وقرى الاراضي المحتلة ومقاومة اهلنا هناك للاحتلال . وقصة (استقبال الحاكم) تستعيد قصة ما حدث لاطفال اربع قرى درزية عام ١٩٦٤ .. حيث فتك مرض الحصبة باطفال كسرى وكفر سميع وجت ويانوح .. وعلى اثرها قام يغئال الون ، وزير العمل يومها ، بزيارة كسرى فاستقبله سكانها على بعد خمس كيلومترات عن البلدة واركبوه على فرس لعدم توفر الشارع المعبد واستحالة وصول السيارات الى البلدة . وقصة (الجمل) تروي اغتصاب ارض الخيط من اهالي بيت جن واقامة الكيبوتسات عليها. وقصة (واحد من كثيرين) يرسم بها شخصية الشيوعي الملتزم بحزبه وقضيته . وقصة (الارض مرصودة باهلها) تصور اساليب السلطة المخادعة في سلب الارض العربية وتصدي الاهل لذلك . وقصة (الناطور) تصور حياة سكان القرية ووعيهم .. وعلاقاتهم مع بعضهم البعض . وقصة (اشياء غريبة) يشير فيها الى التناقض الكبير ما بين الواقع الهاجم على انسان الريف .. وبين حياته الهادئة التي يحياها وان كانت بعض جوانبها الخفية نشابه في عنفها ما يحدث امام ناظريه خارج القرية .

شخصيات قصص المجموعة :

تتراوح شخصيات قصص محمد نفاع في هذه المجموعة ما بين الفشل والنجاح .. فبينما استطاع ان يعطينا شخصيات نمطية ناجحة في شخصية الاب (لاننا نحب الارض) وذيب (تمرين في الدفاع المدني) والناطور (الناطور) ، نراه يفشل في شخصيات قصص (واحد من كثيرين) و (العلم) و (استقبال الحاكم) و (الارض مرصودة باهلها) .. فشخصيات (الاب وذيب والناطور) شخصيات ايجابية نمطية متنامية متورة كاملة وديناميه .. بينما شخصيات ابطال القصص الاربع الاخرى باهتة مقتحمة غير مقنعة ومتقوقعة .. اما شخصيات قصص (كوشان ، بدوح اسلب بدوح ، الجمل ، اشياء غريبة) فموفقة وان كانت لا تقارب النمطية التي تميزت بها شخصية (الاب وذيب والناطور) .

الشخصيات كلها ريفية .. بسيطة .. وعيها فطري .. شخصيات لا تعاني مشاكل العصر وهمومه .. تقاوم الظلم بدافع ذاتي وان كان المظهر الجماعي للمقاومة يظهر هنا وهناك .

ان شخصية البطل الشيوعي في قصة (واحد من كثيرين) غير ناجحة .. وغير مقنعة .. فهي شخصية سطحية .. غير متطورة .. ومثلها شخصية الطالبة في قصة (العلم) وشخصية (الطلاب) في قصة (استقبال الحاكم) .

هذه الشخصيات الريفية الملتصقة بالارض والمحبة لها .. هي شخصيات قصص محمد نفاع الناجحة في كل قصصه الناجحة .. وهي الشخصيات البارزة في معظم قصصنا المحلية . فشخصية ابن الريف هي شخصية بطل قصتنا المحلية ، البطل البعيد حتى الان عن تعقدات العصر .. وتحولات المجتمع الصناعي .. وهموم الانسان الكبيرة .. وقضايا الفكر الانساني .. والصراع الطبقي .. قد تجد شخصية العامل .. او الحزبي.. او المتعلم الواعي .. لكنها قليلة ومهتزة .. ولهذه الظاهرة في قصتنا المحلية اسبابها ..

التي من اهمها قضية الصراع من اجل البقاء والمحافظة على كل شبر ارض امام هجوم السلطات على محو الهوية القومية وسحب الارض العربية .. وتمزيق الوحدة القومية.. البطل الريفي ابن الارض كان ولا يزال هو رمز الشعب الباقي الصامد المكافح . وكل الافكار والهموم والقضايا تتضاءل امام قضية الوجود والارض .

ولا يختلف دور المرأة العربية عن دور الرجل .. اذ لا تزال فتاة الريف هي رمز فتاتنا العربية هنا .. الفتاة المؤازرة لزوجها ووالدها واخيها .. المتصدية معه .. والحالمة معه .. الفتاة البسيطة البعيدة عن كل الهموم الاخرى .. وهي لا تقل وطنية وحماسا .. وتفانيا ووعيا عن الرجل .. هكذا فتاة ريفنا .. وهكذا هي في قصصنا المحلية .. (شخصية زوجة ذيب) في قصة (تمرين في الدفاع المدني) .

طابع قصص المجموعة .. والنقص البارز في قصص محمد نفاع :

يسحر المداوم على قراءة قصص محمد نفاع بالجو الريفي الذي يفتن محمد نفاع في رسمه بكل جوانبه .. العادات والتقاليد .. انماط الحياة المتشابهة .. التوزيع السكاني .. الخلافات المعتادة .. علاقات الناس .. احاديثهم .. افراحهم اتراحهم .. لقتهم .. كل هذه وغيرها تسحر قارىء قصص محمد نفاع .. لكن الغريب في هذه القصص انها لا تطلعك على التحول الكبير في هذا الريف .. وسكان الريف .. فخلال السنوات الطويلة .. ونتيجة لحتمية التطور .. وتحدي السكان .. وخروج الريفي للمدرسة والعمل ومعرفة الريفي بحقه في الحياة والمطالبة بتحسين ظروف حياته .. ونتيجة التفاني الكبير الذي قدمه الطلائعيون من ابناء شعبنا حدث تحول كبير في حياة وفكر ساكن الريف .. فالعادات تبدل العديد منها .. والمفاهيم تجددت .. ونسبة المتعلمين زادت .. والطبقة العمالية ازدادت وبدأت تفرض وجودها .. ظاهرة المخاتير والزعامات التقليدية خفت وتكاد تزول .. وبدلا منها ظهرت قيادات واعية جديدة تتمثل في الجبهات .. ورؤساء السلطات المحلية الجدد والنقابات المتنوعة .. والمرأة خرجت من قمقمها وبدأت تساهم في تقدم مجتمعنا وتساند في نضالاته .. والطلاب احتلوا موقعهم الطبيعي في عملية تحويل المجتمع ورفع مستوى نضالاته .. كذلك الوعي الحزبي والسياسي والفكري ازداد وبدا يشكل قواعد جديدة للتعامل بين الناس في الريف .. فيهدم القديم ويبني الجديد ..

كل هذه التحولات وغيرها حدثت في ريفنا.. ولكنها تهمل في معظم انتاجنا المحلي .. وتكاد تنعدم في معظم قصص محمد نفاع .. والسؤال : لماذا ؟؟

حتى ولو صدف وتناول بعضها في قصة مثل (الاجتماع النسائي الاول في القرية) فتأتي القصة فاشلة لا تتعدى كونها شعارا يسمع .. ورصدا فوتغرافيا لما حدث ..

قد يعتقد البعض ان ابراز بعض جوانب التقدم او التطور في حياة العربي ساكن الريف يفسر على انه دعاية للسلطة .. او انه تأييد لما تدعيه من تقدم الوسط العربي خلال الثلاثين سنة .. ومع ما في هذه الحجة من اقناع .. الا انها لا تبرر انكار ان هذا التقدم والتطور كان نتيجة لحتمية التطور العامة .. ونتيجة لكفاحنا خلال هذه السنوات كلها .. ثم ان صراعنا من اجل الدفاع عن الارض الذي تميزت به سنوات الخمسين والستين .. لم يختلف بكثير عن صراعنا من اجل الدفاع عن الارض المتبقية والوجود الجسدي والقومي والانساني في سنوات السبعين والثمانين .. فمع زيادة تطورنا وتقدمنا وتعليمنا ووعينا وثقافتنا تزداد مسؤوليتنا .. وتزداد حدة الصراع .. وترتفع المواجهة الى مستويات اعلى واخطر.. وهذا ما يجري في الريف .. ولساكن الريف .. وهذا ما يجب ان يبرز في ادبنا ..

مبنى قصص المجموعة :

لا تختلف قصص مجموعة كوشان عن قصص محمد نفاع التي نعرفها من حيث مبناها الفني .. فالاسلوب السردي .. هو اسلوب محمد نفاع .. والشخصيات كما وضحنا .. ريفية بسيطة في كل شيء ما عدا في حبها للارض وفدائها .. ومسرح القصص ريفنا وبالتحديد في معظمها قرية بيت جن .. وفي قصة (استقبال الحاكم) ، قرية (كسرى) ، وفي قصة (العام) احدى مدن ارضنا المحتلة .. في الضفة او القطاع .. والقصة تروى باسلوب الضمير المتكلم ما عدا ثلاث قصص .. وضمير المتكلم هو الاكثر ملاءمة لاسلوب السرد لانه يقرب ما بين المتحدث الراوي والقارىء .. فيشعر القارىء وكأنه الراوي .. فتتفاعل المشاعر وتتوحد وتتدافع معا ..

القصص مبنية في معظمها على اسس القصة القصيرة التقليدية .. بركائزها الثلاث الاساسية (عرض ، عقدة ، حل) وتبرز هذه الخاصية في قصة (لاننا نحب الارض) وقصة (تمرين في الدفاع المدني) وقصة (بدوح اسلب بدوح) وقصة (الناطور) .

لم يتقيد محمد نفاع في قصصه هذه ببناء واحد بل نراه يستخدم وسائل مختلفة مثل :

الاسترجاع : حيث نراه في بعض القصص يبدأ من النهاية منطلقا نحو البداية .. او تكون نقطة النهاية .. هي الدافع للتذكر بالبداية وسرد القصة .. (قصة الناطور ، وقصة كوشان ، وقصة اشياء غريبة ، وقصة الارض مرصودة باهلها) .

السرد التسلسلي : وهذا نجده في قصص (تمرين في الدفاع المدني ، وبدوح اسلب بدوح ، والعلم) وغيرها .. حيث يتدرج الكاتب بالاحداث من البداية حتى النهاية .. بصورة تدريجية ومنطقية .

القفزة الزمنية : وهذه السمة نصادفها كثيرا في ادبنا المحلي.. حيث نستطيع ان نجد تاريخ القضية على طول ثلاثة عقود في اغلب قصاصينا .. وقد يكون لوضعنا الخاص ومواجهتنا اليومية المتلاحقة اثر على ملازمة هذه السمة لادبنا القصصي بشكل خاص .. وفي قصص محمد نفاع نجد القفزة الزمنية في قصة (كوشان) حيث تسرد على مسامعنا قصة ثلاثين عاما من العذاب والتشريد .. وفي قصة (الجمل) بقوله منهيا القصة (اما اليوم فقد انقطع مشوارنا اليومي - قطعه الحريق والطيلة الفي سنة.. الخ صفحة ٧٠) وفي قصة (الارض مرصودة باهلها) بقوله (عندما دافعت فيلان الدولة .. الخ صفحة ٩١) .

قد يكون لاستخدام هذا اللون فائدة في الاسلوب السردي .. بأنه يخرج القارىء من جو الرتابة والملل .. والسرد .. لكنه

عند محمد نفاع يجيء منفصلا عن باقي القصة .. وقد يستخدمه في اكثر الحالات لتوضيح موقف .. او لتأكيد رأي .. او لرفع شعار ..

بداية ونهاية قصص المجموعة :

يتحدد – في كثير من الاحيان – نجاح او فشل القصة ، في مدى نجاح الكاتب في رسم بداية او نهاية قصته .. وذلك .. لان القصة مهما كانت مهمة في موضوعها .. وعرضها .. تظل بعيدة عن النجاح اذا فشل الكاتب في بدايتها بجذب انتباه القارىء .. وبالنسبة لكل فن من الفنون التعبيرية .. فالشاعر منذ الجاهلية كان يقظا لهذه اللفتة .. وبدأ قصيدته بالوقوف على الاطلال وبكاء الاحبة .. ووصف المحبوبة .. بهذه البداية الموفقة كان ينجح في جذب السامع اليه والبلوغ به الى الهدف المنشود .. وهو اسماع موقفه الذي يريد اعلانه ونشره ..

ونجد هذا النجاح والفشل في بدايات قصص مجموعة (كوشان) .. البداية الناجحة المنبهة للقارىء .. والجاذبة له .. والشادة به لمتابعة القصة .. نجدها في قصة (كوشان) بقوله (مرتان التقيت بحسن وابراهيم .. وبين المرتين يمتد زمان حسبناه في البداية سبعة ايام ، فلما مرت قلنا سبعة شهور ، وانقضت هي الاخرى فسامحنا وقررنا اذن ، سبع سنين عجاف ، لكنها مرقت وتركتنا ننتظر .. الخ) فهو يشد القارىء ليستزيد في التساؤل عن هذين اللقاءين .. ولماذا فصل زمان طويل بينهما ؟؟ وكيف تم كل منهما .. متى واين ...؟؟

وفي قصة (لاننا نحب الارض) اعلانه عن الورقة التي احضرها ساعي البريد يثيرنا نحو التعرف على مضمون الرسالة .. لمن جاءت .. وكيف سيكون اثرها على صاحبها بعد اطلاعه على مضمونها ..

وفي قصة (تمرين في الدفاع المدني) منذ البداية يجعلنا نتساءل عن شخصية (ذيب) ولماذا هو اغرب رجل في البلد .. ما قصته .. وما علاقته بالراوي ..؟؟

وفي قصة (بدوح اسلب بدوح) شخصية (الشيخ حميدو) تثير حب استطلاع القارىء من البداية .. وتدفعه لمتابعة القصة ..

كذلك في قصة (الجمل) قوله (الموضع بعينه كما كان .. كان خطى السنوات الثلاثين اخطات المكان) يجعل القارىء .. يتساءل عن المكان .. وماذا حدث فيه وله .. وما قصة الثلاثين سنة .. الخ .. وفي قصة (الارض مرصودة باهلها) باثارة الرغبة منذ البداية بقوله (تدافع الناس ليروا وجه الميت الذي كان موته حديث البلد قاطبة . الخ) فالقارىء يريد ان يعرف .. من هذا الميت .. وكيف مات .. ولماذا يهتم به الناس ..؟؟

هذه البدايات كانت موفقة .. لكن الى جانبها نجد بداية قصة (الناطور) فاشلة .. وليس لها ما يبررها .. وكان بامكان الكاتب ايجازها في سطر واحد .. او التنازل عنها .. اما بداية قصتي (العلم) و (استقبال الحاكم) فبين بين ..

وكما اكدت على اهمية البداية في القصة .. فان للنهاية اهمية لا تقل عنها .. فاذا كانت البداية .. مقررة في مدى جذب القارىء لاتمام قراءة القصة .. وشده اليها .. فان النهاية مقررة في مدى تأثير القصة على القارىء ووصول الكاتب الى ما اراد تحقيقه من قصته .. وكثيرا ما يحكم القارىء على القصة بتأثير النهاية ..

وانتباه كتابنا هنا الى اهمية النهاية في العمل الادبي .. ومدى تأثيره على القارىء والسامع .. حدد خطا يكاد يكون مميزا في ادبنا المحلي التقدمي .. واعني به (النهاية المتفائلة) وهذا التفاؤل الواثق القوي كان له اثره الايجابي في المحافظة على هامات ابناء شعبنا المرفوعة هنا دائما .. وعلى انتصار البسمة على الدمعة رغم تلبد الغيوم .. واشتداد سواد الليل .. وكذلك كان له اثره على انقاذ كل اليائسين والباكين والمتشائمين والشامتين والطيبين من اخوتنا عبر الحدود .. الذين سحقتهم نتائج حرب حزيران ١٩٦٧ .. فجاءتهم اصواتنا مبشرة باخر الليل ودخان البراكين .. محمولة بالكلمات المقاتلة فوق النهر الحزين ممتطية خيولنا الاصيلة .. ماسحة دموع القدس هادرة كريح الشمال .. فتنبه الاخوة هناك .. وعادت اليهم الثقة .. فحضنوا الكلمات .. وجددوا البسمات ..

لم تختلف نهايات قصص محمد نفاع عن هذا الخط المتفائل الرائد .. لكن اتخاذ هذا التوجه التقدمي وحده لتحديد نجاح او فشل النهاية في العمل الادبي .. امر لا يقبل .. فالنهاية في العمل الادبي يجب ان تكون مقنعة ومتداخلة مع مجمل الموضوع .. موجزة في كلماتها .. بعيدة في ما تبقيه من اثر ..

ومثل هذه النهايات الناجحة نجدها في قصص (كوشان ولاننا نحب الارض وتمرين في الدفاع المدني وبدوح اسلب بدوح والجمل والناطور واشياء غريبة) والى جانبها نهايات فاشلة في قصص (استقبال الحاكم وواحد من كثيرين والارض مرصودة باهلها) نهايات لم يستطع الكاتب ان يقنع القارىء بها .. نهايات كانت اقرب الى رفع الشعارات منها الى نهايات قصة .. راجع قصة (الارض مرصودة باهلها) .

عيوب اخرى في قصص (كوشان) :

استطاع القارىء بعد كل ما قيل من الوقوف على مواطن النجاح والفشل في قصص المجموعة .. لكن قارىء قصص محمد نفاع الدائم .. يجد نفسه امام عيوب فنية خاصة بمحمد نفاع .. ويكاد يتميز بها الكثير من انتاجه الادبي .. وقد نبهت لبعض هذه العيوب في دراستي لمجموعة قصصه البكر (الاصيلة) واجد نفسي ملزما لابراز اهمها ثانية وهي :

عدم التركز في الحدث : والتركز في الحدث مطلب اساسي في نجاح القصة القصيرة ... هذا لا يعني ان الكاتب مرغم على ترك كل قضية اخرى .. او التلميح اليها .. العكس هو الصحيح .. وانما المطلوب ان لا يهمل الكاتب موضوع القصة الاساسي وينتقل بالقارىء من موضوع الى اخر .. منساقا وراء فكرة طرات له .. او كلمة اعجبته موسيقاها .. او شعار رغب في تثبيته في ذهن القارىء .. على طريقة الشاعر الجاهلي الذي كان يقفز من غرض الى اخر بغير منطق .. وفي قصص محمد نفاع نجد هذه السمة .. التي كثيرا ما ترهق القارىء وتفقده رغبة الاستمرار في قراءة القصة ..

الاطناب : – وقد يكون هذا العيب من مستلزمات اسلوب السرد الذي يتبعه محمد نفاع .. لكنه عيب يفقد القصة جمالها

وتركزها .. فالتوسع في شرح فكرة .. او موقف .. او معنى كلمة .. والاكثار من المترادفات .. لا يساعد على نجاح العمل الادبي .. بل يضعفه .. وقد يقصد محمد نفاع في بعض هذه الاطناب والتوسع تفصيل الصورة وابراز كل جوانبها او تحديد الفكرة تماما .. كما نراه في قوله (وعلى وجهه تضاريس الارض الجبلية ، تجاعيد وترهل وانحناءات ومنعطفات ونبويز ونتوء وتقعر تعايشت مع بعضها) وقوله (وله ابشع شنب شوهد او روى عنه مكشكش متهدل رانخ – صفحة ٢٨) لكن كل هذا لا يعطي المبرر له في ان يتخذ هذه الطريقة اسلوبا له في قصصه .

استعمال الكلمات العامية : والعيب ليس في ادخال الكلمات العامية في العمل الادبي .. اذ مثل هذا العمل واجب .. وكثيرا ما يحدد نجاح العمل .. لكن استعمال الكلمات العامية .. لمجرد الرغبة في استعمالها .. قد يسيء اليها والى العمل الادبي نفسه .. ومحمد نفاع من كتابنا المتميزين بادخال الكلمات العامية في عملهم الادبي .. وله يعود الفضل في الحفاظ على الكثير من تعابيرنا القروية .. لكن ما يلفت الانتباه ان حب محمد نفاع للكلمة المحكية يطغى عليه احيانا حتى انه يدخلها لسبب او لغير سبب .. وقد تسيء في بعض الحالات الى المعنى .. والى نجاح العبارة .. مثل (وكلها مطوية ومكبوسة ومشرتحة ومبقرة باردة متضايقة على شفا الاختناق – ص ٣١) وقوله واصفا السيارة (والسيارات تمرق مزمجرة مطرطشة الماء – ص ٥٥) فواضح ان الكاتب هنا انساق وراء موسيقى ومخارج الكلمات فاستعان بكل كلمة على نفس الوزن ليحشوها ..

رفع الشعارات : لا احد ينكر حق الكاتب في ابداء رايه والدعوة الى اعتناق موقفه الايديولوجي والحزبي .. ولكن ينتقد الكاتب اذا طرح آراءه ومواقفه على شكل شعارات خطابية غير مقنعة .. وقد دعوت في كثير من كتاباتي الى اهمية اعطاء ادبنا عمقا فكريا يستطيع مواجهة الفكر المادي لنا .. لكن ان نرفع شعارات .. فهذا ما ارفضه .. ومن عيوب محمد نفاع في ادبه .. انه يكثر من رفع الشعارات .. وكثيرا ما يفشل قصة ناجحة له .. بشعار يقحمه خلال القصة .. او ينهي به القصة .. وقد نبهته في معالجتي النقدية لقصة (جولة نقدية) وقصة (الاجتماع النسائي الاول) لكن يبدو ان محمد ادمن هذا العيب . فنراه يكرره في اخر قصة له نشرها في العدد السابع من « الجديد » (قصة الهوية) وفي قصته التي نشرت في العدد الاخير من « الغد » (الجمل) ونجده بارزا في قصة (العلم ، واستقبال الحاكم ، والارض مرصودة بأهلها) .. كذلك نجد قصة (واحد من كثيرين) ليست الا رفع شعار مقحم وغير مقنع ..

أخطاء لغوية تتكرر : لا يطالب احد من كاتب القصة ان يكون علامة في اللغة .. لكن ما نطالب به ان يكون الكاتب على معرفة جيدة بمبادىء اساسية في اللغة التي يكتب فيها .. ونقع على الاخطاء التي لا نتسامح مع الكاتب فيها في الكثير من قصص محمد نفاع .. في هذه المجموعة وغيرها .. ومن هذه الاخطاء بدايته للجملة بشبه جملة ظرفية او جار ومجرور دون توفر الشروط التي تجيز ذلك .. كقوله في بداية قصة (كوشان ، صفحة ٥) : (مرتان التقيت بحسن وابراهيم .) وقوله في بداية قصة (استقبال الحاكم ، صفحة ٥٥) : (بحسب ما يقتضيه عملي في الصحافة) وقوله في بداية قصة (الناطور ، صفحة ٦٧) : (في سنوات طفولتي المبكرة على ما اظن ..) وكأني بالصديق محمد مغرم ببداية جملته بظرف او جار ومجرور .. حيث يتكرر ذلك بشكل واضح ..

كذلك بدايته لقصة (اشياء غريبة ، صفحة ١١٣) بقوله : (لطف من عقلي انه لم يقفز ..) فرغم انه من ناحية لغوية جائز بتقديم المبتدا .. الا ان الضعف في سبك العبارة واضح .. وكان يفضل لو بني العبارة بشكل متين وصحيح اكثر .

كلمة أخيرة :

تظل قصص محمد نفاع ، تمثل مسارا مميزا ورائدا وخلاقا لقصتنا المحلية .. ورغم اختلاف الآراء حول البعض منها .. الا انها تظل الالصق بالانسان الفلسطيني هنا .. والمصورة الامينة لحياته وآماله ..

واذا كنت اتشدد في محاسبة الصديق محمد في بعض الامور .. فلانه من احق كتابنا المحليين بالمحاسبة الدقيقة والتشدد .

الرامة

هكذا تغنى سهام داود !

بقلم : فاروق مواسى


سهام داوود

لا بد لنا ان نشير فى مطلع هذه الدراسة القصيرة عن شعر سهام داود فى ديوانها « هكذا اغنى » الى ملاحظتين جديرتين بالاهتمام :

الاولى ان الاهتمام فى خارج الوطن بادبنا اخذ يشمل جميع الادباء ، وها نحن نشهد اصدار مجموعة سهام التى اشرف عليها الاخوة محمد سليمان ومنذر عامر وسميح سمارة اذ جمعوا قصائد الشاعرة من مجلة « الغد » و « الاتحاد » لسنة ١٩٧٣ . وفى المقدمة التى كتبها « الاعلام الفلسطينى الموحد » عهد على ان يجد الادب الوطنى مكانا له فى صفحاته المطبوعة :

« هذه الاقلام من حق اصحابها علينا أن نقدمهم الى جماهير شعبنا الفلسطينى وشعوبنا العربية واصدقاء نضالها العادل ... ذلك لانهم النموذج لصورة صراع الفلسطينية مع الصهيونية وانطلاقا من هذه القاعة وهذا الفهم كان هذا الديوان للشاعرة الفلسطينية سهام داود وسيكون بعده دواوين اخرى لشعراء شباب آخرين من أبناء شعبنا فى الارض المحتلة »

(هكذا اغنى ص ٩)

والثانية تتعلق بالنشر ، فسهام لم ينشر لها هنا الا بعد ان نشر لها فى لبنان .

مدخل الى شعر سهام

لعل ابرز ما يبدى لقارىء الديوان هذه الانسيابية العفوية التى تحمل الليونة والسيولة ، فلنقرا نموذجا :

« مرة اخرى كاننى لم اولد بعد
احن الى حب قديم ... قديم
اجدله فى ضفيرتى
ليثمر على خاصرتى شلالسحب
ودوالى بلا اصفاد
لو جمعوا كل الضياع بحلمى
لو حملوا ريش بلابلى كل
اجراس السلاسل

من عطشى
ساجمع كل الانهار بحضنى
وانت ... يا انت
محترق ... محترق
وانا هدير البحار بدمى » .

(هكذا ص ٣١)

واذا كان الهدير عن طبعه ان يتدفق فان الشاعرة بادائها المفهوم المعبر تقدم شاعرية رقراقة وتحمل شحنات عاطفية متوهجة ولغة مشرقة فيها طعم جديد وسنشير الى هذه اللغة فى متابعة المقال .

تقول الشاعرة : « **ساجمع كل الانهار بحضنى** » انها هنا لا تتحدث بمنطق او بتسلسل واطراد تقيدها ادوات الربط فى الجمل بل تنداح كذلك فى شعر حر (سائب على حد اصطلاح العقاد ولا يعيب كما توهم)، والشعر الحر (ليس بمصطلح نازك الخاطىء) تدمت فيه تجارب رائعة مثل توفيق صايغ وجبرا ابراهيم الفلسطينيين والماغوط السورى وغيرهم . لا تشحن شعرها شحنات فكرية على صعيد فلسفى ولا تكتنز فى ثنايا شعرها ثقافة عالمية او تفاعلا مع اسطورة او تراث متعمق بل هناك حشد من الصور الحدسية وهى قصرت شعرها على قضيتها والتزمت فكانت يافا والزيتون والبرتقال والارض حلما يطل على خاصرتها وفى بطاقات بريدها :

« عندما ركضت اليك مسافرة
بلا اشواق
نسيت ان الشرطى قد شوه
ملامحك وغير لون البرتقال
لكننى كتبت لك فى رئتى
لن ياخذوا من الزيتون خضرته
فدمعتى كلون عينيك
خضراء »

(هكذا ص ٣٦)

ان هذه الانسيابية فى المضمون لم

✽ هكذا اغنى — منشورات صلاح الدين ، القدس — ١٩٧٩ .

تكن تتجاوز دائرة الشعر القومى فيافا فى شعرها مرآة تنعكس فيها القضية حتى تصبح تكثيفا وبلورة وصدقا .

يقول الدكتور نبيل راغب : (١)

« كلما استغرق العمل الادبى فى المحلية الاصيلة اقترب بذلك من مجال العالمية » . ومن هذا القول نستطيع تلمس سبب اقبال القارىء الاجنبى لشعرها (٢) .

ميزة ثانية :

ان اللفظة التى تختارها سهام دقيقة لمعناها ، فهى حريصة ان تكون على قدها ولا تكون فضفاضة ، هى لا تتعمد الاغراب ولا « تعاظل » وقديما رأى النقاد ان الشعر الجيد هو ذلك الشعر الذى لا تستطيع فيه ان تستبدل كلمة بكلمة .

تقول سهام :

« فى كل جنازة اخذوا من لفتى
طبالا وشاعر
ليحفر القضية فى الشوارع »

(هكذا ص ٤٠)

ونموذج آخر :

وجسمى الذى تحويه الاغانى
الصليبية
يافا تدفننى فى مآذنها العتيقة
صنوبرة يستوطن فيها العدل
والروعة
تدفننى شفقا فى الافق
لاذوب فى الارض عصيرا
وزنبقا » .

(هكذا ص ٩٨)

فهل يمكن ان نتلاعب بلفظة فى مثل هذه الكتابة الشعرية ؟

وهل نحس هنا نشازا او تكلفا او تصنعا فى الاداء ؟ من هنا ابدا بالاجابة على ان لغتها لها طعم او نكهة لا تتعمد البحث عن الغرابة برغم جدتها .

يقول جبرا ابراهيم فى رسالة الى شاعر ناشىء :

« كم قصيدة تصح وتقوى لو اختصرها صاحبها من اربعين بيتا الى اربعة . ان حذق الفنان يتجلى فى مقدرته على الحذف والتركيز بقدر ما يتجلى فى التوسيع والاطالة . فالابيات كالكلمات يجب ان تكون كالدرر يضن بها الشاعر ولا يعرض فى نظمه الا اجودها واشدها بريقا . اختصر اختصر ولا تبق الا على كل بيت يشع ويتقد » (٣) .

ونستطيع ان نتبين بيسر لغة التركيز عند سهام .

ومن الملاحظ كذلك ان الاستعارات والكنايات والتشبيهات ظاهرة ملازمة فى شعرها :

« لماذا انام فى حقيبة حبسوا
داخلها سكان يافا
وجذور السنديان ؟ »

(ص ٦٨)

« هى فى كفى سنابل حرية
هى فى كفى رائحة ياسمينة
لم تذبل

....

يا وجهى الممتد الى الوادى »

(ص ٩٤)

توزيع اللقطة

وسهام شاعرة صورة تقف على مشهد وتحاول ان توزع اللقطات (اقرا النموذج السابق) وكذلك :

« يا ايتها الارض الصخية
لك من قلبى الف جمرة
لك من جسمى جزيرة
لك منى طوفان كتابة » .

(ص ٨٨ ونماذج اخرى ص ٨٤ ، ٩١ ، ٩٦)

فلغة سهام فيها جدة بتشبيهاتها وبتوزيع مدلولها فيها دقة اداء وفيها انسيابية .

هذه هى السمات الرئيسية التى تبنيتها من خلال قراءتى لها أما سماعى لشعرها فتذكرنى قراءتها المتمهلة بوصف كتبه الدكتور عبد الغفار مكاوى عن الشاعرة النمساوية انجبورج باخمان :

« ان انبل ما فى تراتهم يتصل الان على لسان هذه الشاعرة النحيلة ذات الوجه الطيب والعيون الخجولة الوديعة لم يشك احد فى ان هذا الذى يسمعه شعر . هذه النغمة ، هذا البعد ، هذه المغامرة ، هذا الحزن النقى الجسور ، لم يشك احد فى ان هذا كله ياتى منها وحدها » (٤) .

وما اصدق الوصف على سهام .

(باقة الغربية)

---

١ — نبيل راغب — المذاهب الادبية من الكلاسيكية الى العبثية — الهيئة العامة المصرية للكتاب — سنة ١٩٧٧ ، ص ٢١٠ .

٢ — لقد ترجمت اشعار سهام الى الانجليزية ايضا وقد اختارت مؤسسة «بين» قصائد اسرائيل ١٩٧٤ — وفيها ثلاث قصائد لسهام داود ترجمها البروفيسور سوميخ بالاضافة الى القصائد العديدة المترجمة بالعبرية وخاصة فى مجلة (عيتون ٧٧) .

٣ — جبرا ابراهيم جبرا — الحرية والطوفان — المؤسسة العربية للدراسات والنشر الطبعة الثانية — بيروت ١٩٧٩ ص ١٣٦ .

٤ — عبد الغفار مكاوى — البلد البعيد — دار الكاتب العربى — القاهرة ١٩٦٧ ، ص ٢٦٤ .

دراسة فى الاقتصاد السياسي

الثورة العلمية التكنولوجية فى الزراعة ومسألة الجوع

بقلم : الدكتورة نجوى مخول

(القسم الثاني)

[فى ما يلي ننشر القسم الثاني والاخير من الدراسة القيمة التي اعدتها الدكتورة نجوى مخول حول الثورة العلمية فى الزراعة ومسالة الجوع . وكانت فى القسم الاول الذي نشر فى العدد الماضي قد ناقشت موضوع حيادية العلوم والتكنولوجيا و « الثورة الخضراء » مشروع الشركات الاحتكارية الامريكية . وفى هذا القسم تقارن بين محاولات حل مسالة الجوع والتغذية فى الدول الراسمالية وفى الدول الاشتراكية والتمايز بين منهجي النظامين] .

٤ ــ علاقات الانتاج الرأسمالية تثور القوى المنتجة الزراعية فى خدمة الجائعين للربح وتعجز عن اشباع الجائعين للخبز :

يتجسد تسخير البحث العلمي لخدمة راس المال فى اخضاعه لخدمة اهدافه السياسية كما ينعكس فى « الثورة الخضراء » ، وفى اخضاعه لاهدافه الاقتصادية ، خصوصا زيادة الارباح وتحقيقها .

وياخذ الاخضاع للارباح بالنسبة للبحث العلمي المعد لزراعة دول العالم الثالث شكلا يختلف عن ذلك الذي يخص البحث العلمي الموجه للزراعة فى الدول الراسمالية المتطورة .

اما بالنسبة لدول العالم الثالث ، فان اشكال هذا الاخضاع (للاهداف الاقتصادية للراسمال الدولي) هو تركيز البحث العلمي والاتقان التكنولوجي فى الفروع المعدة للتصدير ــ تلك التي تشكل المواد الخام لصناعات اجنبية كالقهوة فى البرازيل والمطاط فى ماليزيا والموز والسكر (لشركات الميكر الامريكية) فى جزر الكاريبي والقطن فى مصر الخ ... ويتم ذلك عادة على حساب حرمان الفروع الزراعية المعدة للاستهلاك المحلي ، وبالذات فروع الغذاء الاساسية .

وفى البرازيل مثلا ــ التي حققت انجازات عملاقة فى اتجاه رفع درجة الانتاجية زراعتها ، رافق تلك الانجازات ترد مضطرد فى الوضع الغذائي للجماهير . وتشير المعطيات الى ان الجهود العلمية تركزت فى فروع القهوة والسكر والقطن ، حيث توظف رؤوس الاموال الكبيرة والمرتبطة ارتباطا وثيقا براس المال الصناعي الاجنبي وليس فى الفروع الزراعيه التي تشكل غذاء اساسيا للجماهير المنتجة ــ كالذرة والفاصوليا مثلا (١٦) .

ولا نقصد هنا ان نعزو الاشياء فى اوضاع التغذية الجماهيرية لحرمان الفروع الغذائية من نتائج البحث العلمي ، فتجربة « الثورة الخضراء » كافية لتعلمنا انه ليست هناك بالضرورة ــ علاقة بين تكثيف البحث العلمي حتى فى فروع الغذاء الاساسية) والاستجابة لحاجات الجماهير الغذائية . وانما المقصود الاشارة الى ان ما يبدو من توزيع غير متساو للجهود العلمية بين الفروع الزراعية المختلفة

---

١٦ ــ يعتمد على مقال هوزي باستوري بعنوان « البحث الزراعي البرازيلي : للتصدير ام للتغذية ؟ » نشر فى مجلة « فود بوليسي » (سياسة الغذاء) ، آب ، ١٩٧٧ ص ٢١٧ ــ ٢٢٧ ، ويعتمد ايضا على معطيات الدراسة الميدانية التي اعدها الزميل فلافيو فاليني ، عضو طاقم البحث المذكور اعلاه فى جامعة هارفرد .

١٧ ــ مستمد من المعطيات الواردة فى كتاب « التنمية والاصلاح وسوء التغذية فى تشيلي لمؤلفيه بيتر حكيم وجورجيو سليمانو ، منشورات ام.آي.تي ، ١٩٧٨ (بالانجليزية) .

هو انعكاس للتوزيع غير المتساوي فيما بينها لتوظيف راس المال والذي – بدوره – يحتمه التطور المشوه وغير المتكافيء كاحد المتطلبات الضرورية في عمليــة التراكم الراسمالية ، والتي على اساسها يتقرر تكثيف البحث العلمي في فرع انتاجي وانعدامه في آخر . واما التردي في اوضاع تغذية الجماهير في بلد مثل البرازيل فيكمن فيالتحول الراسمالي لعلاقات الانتاج ، والذي ياتي البحث الزراعي ليستخدم في تسريعه . واما البحث في وضع التغذية الجماهيري ازاء المتطلبات الضرورية لعملية التراكم الراسمالي فيحسمه الصراع الطبقي وليس التكنيك . ولعل تجربة تشيلي الفتية في محاولات سلطوية فاشلة للقضاء على سوء التغذية المزمن بين جماهيرها، واضطرارها الى انتهاج برامج توزيعية للمواد الغذائية تستهدف الجزء المنظم من عمال الصناعة دون سواه ، لا لشيء الا بسبب موقعهم الاستراتيجي في الصراع الطبقي (١٧). لعل هذه التجربة تقدم دليلا تاريخيا على ان التحسن والتردي في وضع التغذية الجماهيري تحدده قوانين التراكم الراسمالي ومتطلباته والتي يمثل الصراع الطبقي عاملا حاسما فيها . وبينما يستخدم البحث العلمي في ظل دكتاتورية البرجوازية سلاحا في الصراع الطبقي ، فانه يستخدم في ظل دكتاتورية البروليتاريا سلاحا لمحو الطبقات ، ولبناء المجتمع البديل للمجتمع الطبقي .

اما في الدول الراسمالية المتطورة كالولايات المتحدة ، فيأخذ الدور المقرر لقوانين التراكم ومتطلباته في توجيه البحث العلمي شكلا آخر يتمثل في تسخيرها لعملية تحقيق الارباح في حيز التبادل ، والمتميزة عن تسخيرها لمجرد خدمة الارباح عن طريق زيادة فائض القيمة في حيز الانتاج .

ويشكل هذا التوجه الجديد في اخضاع العلوم الزراعية لتحقيق الارباح مباشرة نقطة تحول تبدو مميزة لمرحلة الامبريالية في التطــور الراسمالي ويصبح حيالها توظيف الاموال في البحث الزراعي والانفاق عليه عملية شحيحة الفائدة ، وفيها الكثير من الضياع والتبذير والتفاهة ..

ولعل اطرف مثل على ذلك من مشاهداتنا الميدانية هو مشروع بحث في مجال التحسين البيولوجي للاصناف ، استهدف زيادة قشرة البيضة رقــة وبياضا ، لان ذلك اكثر استهواء لذوق المستهلك الامريكي ، مما يسهم مباشرة في تعزيز عملية تحقيــق الربح عن طريق زيادة قوة منافستها في السوق . وقد وقع اختيارنا على هذا المثل بالذات للرمزية الكامنة فيه : التركيز على القشر بدلا من اللب !!! وايضا من اجــل الاشارة الى الافلاس السافر في الاهداف التي يمكن ان تسخر العلوم في خدمتها تحت علاقات الانتاج والتبادل الراسمالية .

وشاهدنا امثلة اخرى تشير بشكل مماثل ايضا الى اخضاع قيمة المنتوج الغذائية لرفع قيمته الربحية ، كما يتجسد مثلا في مشروع بحث علمي زراعي في جامعة كرنيل الامريكية ، يتركز على تطــوير تكنولوجي للتخلص من جزئيات بروتينية تشكل عنصرا اساسيا في غذاء الانسان من عصير التفاح (سايدر) من اجل زيادة صفائه ، ومن ثمة تعزيز قــوة منافسته في السوق سعيا وراء زيادة الربح .

وبالرغم من الوضوح حول كون راس المال هو المستفيد الحقيقي من هذا التوجه وعلى حساب صحــة المستهلك تضطر مؤسسات الابحاث ان تصور المستهلك وكأنه هو نفسه المستفيد الحقيقي من ثمار هذه الابحاث ، على اعتبار انها توفر له امكانيات خيــار استهلاكية اوسع ، كاحدى المعطيات الاساسية للدمقراطية البرجوازية !! .

ونجد شكليّ الاخضاع الاضطراري للعلــوم الزراعية في خدمة الارباح سائدين اليوم في اسرائيل ايضا على الرغم من رجحان المهمة الايديولوجيــة والسياسية للزراعــة في الصهيونية على مهمتها الاقتصادية . ويبدا ذلك يتم على اثر التحول الراسمالي للزراعة الاسرائيلية ، المتجسد باندماجهـــا الكلي بالسوق العالمية . ولم يعد يتنافى اليــوم توجيه العلوم الزراعية في خدمة تحقيــق الارباح مع المهمة الاستيطانية للزراعــة في اسرائيل ولا يعرقله تناقضه المظهري مـــع التوجه الصهيوني ، الذي تم تكريسه مؤخرا في مؤسسات الابحاث الزراعية في البلاد .

ومن الجدير بالذكر ، ليس فقط ان توجيه البحث الزراعي في اسرائيل اليــوم تنعدم فيه الاعتبارات الغذائية بل ايضا ان انعدامها متعمد . فان واضعي سياسة البحث الزراعي لا يترددون في التاكيــد والاعــلان عن ضرورة تغليب الاعتبارات الربحية على الاعتبارات الغذائية ، والذي لا يتوافق مع متطلبات الاستيطان الزراعي المميزة لهــذه المرحلة من تطور اسرائيل . وعلى الرغم من الاهمال المتعمد للقيمة الغذائية للانتــاج الزراعي ، فان الجماهير لا تعاني من سوء التغذية ، مما يؤكد على عدم وجود علاقــة سببية بين تكثيف البحث الزراعي واوضاع التغذية (١٨) . ففي اسرائيل ايضا ، تتركز الجهود العلمية التكنولوجية في فروع معدة للتصدير وخصوصا غير التقليدية منهـــا كالزهور والبذور المهجّنة ونباتات الادوية والبهارات والفاكهة شبه الاستوائية الخ ... ولكنها بالاساس موجهة نحو ضبط الكيفية وخلق الخصائص التي تعزز تحقيق الارباح مباشرة وفي اسواق العالمية بالذات . فتصرف اليوم مثلا جهود علمية مركزة في كلية الزراعة في الجامعة العبرية في رحوبوت وفي معهــد فولكاني للابحاث الزراعية ، في سبيل جعل زهور القرنفل تتفتح في موسم عيد الميلاد في شهر كانون الاول (خلافا لموسم تفتحهـــا الطبيعي) لان هذه الفترة احسن فرصـــة لاستيعاب الزهور الاسرائيليـــة في السوق

---

١٨ — هذا لا ينفي امكان تفشي الجوع وسوء التغذية بين جماهير الكادحين في اسرائيل كنتيجة مركبة للتوجه الراسمالي في تطور زراعتها من جهة ولتغير ما في سياسة الولايات المتحدة التي تمدها بالمواد الغذائية وتعوض بذلك عن التوجه غير الغذائي لاستراتيجية التنميـــة الزراعية في اسرائيل ، من جهة اخرى . وعلى ضوء رفع السوبسيديا عن المواد الغذائية الاساسية — كالطحين والبيض والحليـــب ومنتوجات الالبان واللحوم — تزداد ضرورة اجراء دراسة حول الابعاد الممكنة لهذه السياسات على اوضاع التغذية وصحة الجماهير. ولا بد من التشديد على عدم وجود علاقة سببية مباشرة بين توجه الابحاث الزراعية الاسرائيلية وامكانات التحسن او التردي في اوضاع التغذية على الصعيد الجماهيري .

الاوروبية عندما لا يكون لها منافس جدي على تحقيق الربح .

ومثل آخر على ذلك نجده في الجهود العلمية الكبيرة التي بذلت في استنباط صنف جديد من الشمام (صنف جاليا) يتميز بصغر حجمه وشكله البيضوي مما يسهل لفه ، ويؤكد تماشيه مع تقاليد اكله عند المستهلك الاوروبي (يأكل الشمامة بشطرها بالعرض مناصفة ثم يتناولها بالملعقة الصغيرة) .

ان الفرق بين اسرائيل وبين الولايات المتحدة فى اخضاع البحث الزراعي لمهمة تحقيق الربح مباشرة ، هو انه فى اسرائيل يسخر لتوفير متطلبات تحقيق الربح فى السوق العالمية وفى الولايات المتحدة لتوفير متطلبات الربح فى السوق المحلية . ويعود هذا الفرق الى اعتبارات ابعد من مجرد حجم السوق المحلية فى كل من البلدين . ولكن فى كلتا الحالتين يؤمن اخضاع الجهود العلمية لتحقيق الارباح ، مباشرة ، ان يكون الرأسمال الزراعي هو المستفيد الاساسي من ثمار البحث الزراعي . ومن هذا المنطلق يسهم توجه البحث الزراعي الاسرائيلي اليوم مباشرة فى تعزيز عملية الاستيطان ومن ثم سياسة التهويد .

ولا ينحصر اخضاع البحث الزراعي للاعتبارات الربحية على مجرد استعمال ثمارها فى خدمة الارباح ، وانما يؤثر ايضا على مضمونها وتوجه تطورها ، على زيادة المعرفة العلمية فى مجال معين ومنعه فى مجال آخر . ففي مجال تحسين الاصناف النباتية مثلا ، يتم تغليب اسلوب التهجين المبني على الهندسة البيولوجية حديثة العهد ، على اسلوب الانتقاء التقليدي ـ بحجة ان اصناف البذور المهجنة اوفر غلة من الاصناف التي يتم تحسينها عن طريق اساليب الانتقاء التقليدية ... ولكن المعطيات الواقعية تشير الى ان العامل الربحي هو الحاسم فى تفضيل هذا الخط فى الابحاث الزراعية على بديله فى اطار الانتاج الراسمالي ، على الرغم من انه يعاني من ازمة فائض الانتاج . ففي اسلوب التهجين تكمن امكانية المحافظة على سرية المركبات الوراثية للاصناف المستنبطة ، وعدم امكانية تجديد انتاج البذور المهجنة بدون معرفة تلك المعلومات والمعطيات الوراثية المعينة ، مما يوفر شروطا مواتية للتنافس الراسمالي الاحتكاري . وعلى اساس توفر امكانية السرية هذه ، نشأت شركات البذور الاحتكارية ونجحت فى امتصاص الارباح الضخمة .. وهذا لا ينفي وجود امكانيات موضوعية اخرى يتفوق فى توفرها اسلوب التهجين على اساليب الانتقاء التقليدية مثل توفر شروط افضل للمكننة عن طريق ضمان (حجم موحد للبذور والثمار وللنبتة نفسها)، ومثل المناعة ضد المرض وضد عوامل بيئية قاسية ، كالملوحة والبرد وغيرهما ... غير ان هذه الامكانيات الموضوعية الكامنة فى اسلوب التهجين لتثوير القوى المنتجة يستعصي تحقيقها لخدمة حاجات الانسان الاساسية فى اطار علاقات الانتاج والتبادل الراسمالية حتى لو استهدفت تكثيف المحاصيل الغذائية الاساسية ونجحت فى ذلك (١٩) .

٥ ـ الثورة البيولوجية تثبت تفوقها على الثورة الكيماوية فى الزراعة ، وقوانين التراكم الرأسمالى تحول دون تحقيق منجزاتها :

بتجنيدها منجزات العلوم البيولوجية الحديثة خصوصا علم الوراثة والجينات السكانية ، تدخل الثورة العلمية التكنولوجية فى الزراعة مرحلة ارقى ، وتفتح آفاقا غير محدودة لتطوير القوى المنتجة الزراعية خاصة فى مجالي تحسين واستنباط الاصناف فى الحيوان والنبات وايضا فى مجال وسائل الابادة البيولوجية للاوبئة . وهناك مؤشرات مقنعة على امكانية تفوق المنجزات البيولوجية فى الزراعة على المنجزات الكيماوية السابقة العهد (كالاسمدة والمبيدات الكيماوية) من حيث مفعولها فى الانتاج وتوافقها مع متطلبات التوازن الايكولوجي ، غير ان علاقات الانتاج والتبادل الراسمالية باتت تعرقل مسيرة الثورة البيولوجية فى الزراعة وتحدد من تحقيق منجزاتها .

لنأخذ مثلا استنباط الاصناف المهجنة ، والتي يحتاج تطويرها الى فترة زمنية طويلة قد تصل الى ثمانية اعوام او اكثر . ففي ظل علاقات الانتاج والتبادل الراسمالية الاحتكارية التي ولدت هذا الاسلوب ، تكون الاستفادة (الربحية) من استنباط نوع جديد لدى راسمالي معين ، بالضرورة ! على حساب راسماليين آخرين ، ذلك لان كل ابداع تكنولوجي جديد يسلب من قيمة راس المال القائم، ويسهم فى ضرب الابداعات التكنولوجية السابقة ويفسد قيمتها الاقتصادية اذ يفقدها قوة المنافسة . وامام هذا التناقض الناتج عن فوضوية الراسمالية الناجمة عن ضرورة التنافس على الارباح ، يضطر بعض الراسماليين الى شراء الابداع التكنولوجي الجديد واحتكاره ، ليس لاستخدامه فى الانتاج وانما لمنع غيرهم من استخدامه والاستفادة منه فى منافستهم ... فى هذه الظاهرة تتجلى ايضا ازمة الراسمالية فى ارقى مراحلها ، الازمة المتمثلة فى عجز الراسمالية عن استخدام منجزاتها العلمية ، وعن زيادة تطوير القوى المنتجة ، وبالتالي تتمثل فى تحول علاقات الانتاج والتبادل الراسمالي الاحتكاري نفسها الى عامل معرقل لعملية التقدم العلمي

١٩ ـ وللتأكيد على ذلك تشير دراسة اجرتها منظمة العمل الدولي على سبع دول فى جنوب اسيا والتي ضمت ٧٠٪ من سكان الريف فى الدول المتخلفة وغير الشيوعية الى ان اشتداد الفاقة (بما فيه سوء التغذية) كان مقرونا بارتفاع فى المعدل الشخصي لانتاج الحبوب التي تشكل مركبا اساسيا فى غذاء الفقراء ، وليس بانخفاض فى ذلك المعدل . وقد دون ذلك فى كتاب « فود فرست » (الغذاء اولا) : ما بعد اسطورة الندرة (القلة) ، للمؤلفين فرانسيس مور لابيه وجوزيف كولينز الصادر فى نيويورك سنة ١٩٧٩ صفحة ١٣٢ (بالانجليزية . وقد اكدت دراسة اخرى للاوضاع فى كولومبيا على ان زيادة الانتاج يمكن ان تتلاءم مع متطلبات تحقيق حاجات السكان كما يشير الفصل السادس من كتاب « جائعون للارباح » لمؤلفه روبرت ليدوجار ، الصادر فى نيويورك سنة ١٩٧٥ (بالانجليزية) .

والتكنولوجي ذاتها . وتحت علاقات الانتاج والتبادل الراسمالية التي تتميز بضرورة التنافس والفوضوية، ينطوي اسلوب التهجين على مجازفات ذات ثمن اقتصادي باهظ ، لان عملية استنباط الانواع الجديدة على هذا الاساس تستمر سنوات وتكلف كثيرا، وبسبب السرية وانعدام التخطيط ، كثيرا ما يظهر في السوق نوع جديد شبيه او مفضل ، فيقضي على قوة المنافسة وبهذا يقضي على القيمة الاستعمالية لنوع جديد آخر . وفي مثل هذه الظروف تصبح عملية التطوير العلمي عملية تبذير واسراف .

اما في ظل علاقات الانتاج والتبادل الاشتراكية ، التي من المفروض ان يتحكم فيها القرار السياسي والتخطيط العلمي ـ وليس فوضى السوق ـ تتوفر امكانيات اخصب ليس لاستخدام الانجازات الارقى للثورة البيولوجية فحسب ، بل للتقدم المطرد في هذه المجالات العلمية التكنولوجية الجديدة ايضا .

فاسلوب التهجين في استنباط الانواع النباتية الجديدة ، الذي اخضع تطويره في ظل الراسمالية للتنافس على تحقيق الارباح ، وحمل في طياته مجازفات اقتصادية من جراء فوضوية الانتاج والتبادل الراسمالي ، تزول ـ بالضرورة ـ هذه المجازفات الكامنة فيه تحت علاقات الانتاج والتبادل الاشتراكي ، كما تزيد ايضا درجة التطوير العلمي لهذا التكنيك ، بما يتمثل في تقصير مدة استنباط النوع ، وفي تبني الجماعية الاكثر تقدمية والاصح علميا . ففي الاتحاد السوفييتي اليوم لم يعد عالم واحد (مع مساعد تقني) يقوم باستنباط نوع جديد من المزروعات كما هو الحال اليوم في الولايات المتحدة ، بل هناك هيئة متخصصة بالانتقاء يعمل فيها فريق من العلماء : اخصائي في الفسيولوجيا وآخر في الكيمياء البيولوجية وفي علم الخلايا وفي علم الحشرات وغيرهم من الاخصائيين . وهكذا فان استنباط نوع جديد بات عملا جماعيا ، كما وتدخل المكننة في هذه العملية ذاتها (٢٠) .

ولعلنا نجد في المنجزات التي تمت في مجال تطوير الوسائل البيولوجية لوقاية النباتات وابادة الاوبئة مؤشرا اوضح الى عجز علاقات الانتاج والتبادل الراسمالية عن استيعاب امكانيات الثورة البيولوجية وعن توفير شروط استمرارية مسيرتها . فقد تمت في الدول الراسمالية المتطورة انجازات هامة في هذا المجال مقدمة بديلا بيولوجيا لوسائل الابادة الكيماوية التي ينجم عن استعمالها عدم التوازن الايكولوجي في الطبيعة ، فينتج عن الخلل الذي تحدثه في هذا التوازن ظهور اوبئة في فروع زراعية اخرى بسبب الابادة ـ غير المقصودة ـ العدو الطبيعي لتلك الاوبئة . هذا عدا عن مشاكل التلوث الناجمة عنها والضرة بصحة الجماهير . فمع ان الوسائل البيولوجية للابادة والوقاية باتت تثبت انها اكثر مفعولا واقل تكاليفا ـ على المدى البعيد ـ من المبيدات الكيماوية ، وتخلو من الاضرار الاجتماعية والايكولوجية ، لم تعط بعد المجال في امريكا للعبور من حيز البحوث الى حيز الانتاج . ولا يعود ذلك الى قوة الشركات الكيماوية وسيطرتها على السوق وتأثيرها بدعايتها على المزارع فحسب ، وانما يعود ايضا الى ضرورة ومتطلبات زيادة الارباح وتحقيقها في اقصر وقت فان ضغوط السوق تحول دون تمكن المزارع الراسمالي من الاستفادة منها . ويحاول العلماء الزراعيون ازاء ذلك ان يدمجوا بين طرق الابادة الكيماوية بالبيولوجية فيما يسمونه « اسلوب السيطرة المتكاملة على الوباء » تجاوبا مع حاجة المزارعين الراسماليين الى تخفيف تكاليف المواد الكيماوية المتزايدة باضطراد ، والتي اصبحت نفسها مضرة بالارباح . وحتى هذا الحل الوسط بالذات لم يجد له مكانا في التطبيق تحت ضغوط السوق حتى الان .

واما ما نلاحظه من عدم التوازن بين امكانيات تحقيق ثمار الثورة البيولوجية في الزراعة من جهة ، وعلاقات الانتاج والتبادل الراسمالية من جهة اخرى ، فهو بلا شك انعكاس لاحتدام التناقضات الداخلية في نمط الانتاج الراسمالي ، الناجمة عن فوضوية التراكم الراسمالي من جراء ضرورة زيادة الربح وبسبب التناقض الاساسي بين الطبيعة الاجتماعية للانتاج والملكية الخاصة . وربما يرجع عدم التوافق بين علاقات الانتاج الراسمالية وثمار الثورة البيولوجية الى محدودية قابليتها للتجديد في اطار الانتاج السلعي الراسمالي ، بالمقارنة مع منجزات الثورة الكيماوية . ومن هذا المنطلق يمكن القول بانها تمثل ظهور براعم التكنولوجيا والعلوم ما بعد الراسمالية في مسامات المجتمع الراسمالي وهو في ارقى مراحله ، بالضبط مثلما نمت براعم التكنولوجيا والعلوم البرجوازية في مسامات نظام الانتاج ما قبل المجتمع الراسمالي في آخر مراحله . وهي بالتأكيد ، مؤشر آخر على عجز علاقات الانتاج والتبادل الراسمالية عن استثمارها وعلى حيلولتها دون تقدمها .. فان الاقتصاد السياسي يعلمنا ان علاقات الانتاج التي تنشأ في مرحلة معينة من تطور القوى المنتجة ـ خاصة العلوم والتكنولوجيا ـ تساهم الى حين في نموها اللاحق ، الا انها تصبح ، فيما بعد ، عقبة امام القوى المنتجة . عندها تنشأ الضرورة التاريخية للقضاء على علاقات الانتاج القديمة واستبدالها بعلاقات انتاج جديدة .

وتشير المعطيات الى ان كثيرا من هذه المنجزات العلمية التكنولوجية التي يستعصى تحقيقها تحت علاقات الانتاج الراسمالية (الهرمة) يتم استيعابها في اطار التطور الاشتراكي . وان المؤشرات النظرية والعملية تؤكد ان الاشتراكية تملك افضليات ضخمة على الراسمالية في ميدان الاستخدام الرشيد للقدرات الانتاجية عامة والعلمية التكنولوجية خاصة . ففي نمو الانتاج الاشتراكي ينعدم التناقض بين علاقات الانتاج وتطور القوى المنتجة وبين التحديث التكنولوجي والعمل

---

٢٠ ـ موروزف ، « الزراعة في الاتحاد السوفييتي » ـ دار التقدم ، موسكو ١٩٧٨ صفحة ١٥٩ . لاحظنا خلال دراستنا الميدانية قناعة العلماء الزراعيين في امريكا بافضلية العملية الجماعية في استنباط الاصناف ، وسجلنا ايضا يقرون بعجزهم عن ممارستها بسبب التنافس الاحتكاري في مجال البحوث العلمية ذاته .

٢١ ـ حسب « تقرير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الكوبي في المؤتمر الاول للحزب » صفحة ٤٠ (بالانجليزية) .

الحي . ولا تشكل علاقات الانتاج والتوزيع الاشتراكية عقبة امام التطور اللاحق للقوى المنتجة ، خاصة التكنيك ، بل على العكس ، تزداد اتقانا وتكاملا بازدياد نمو القوى المنتجة ، وتتحول بصورة تدريجية الى علاقات انتاج المجتمع الشيوعي الذي يصبح فيه العمل من كل حسب طاقته والى كل حسب حاجته وليس حسب انجازه . ولا بد من الاشارة هنا انه فقط في ظل علاقات الانتاج والتوزيع الشيوعي تشكل التكنولوجيا العامل الحاسم في تامين الرفاهية الاجتماعية بما فيها التغذية . وان الامكانات الكامنة في الاشتراكية لاستيعاب ثمار الثورة البيولوجية لا تنتفي على ضوء واقع الدول الاشتراكية اليوم والذي يشير الى اعتماد وسائل الابادة الكيماوية . ففي بعض الدول الاشتراكية ، مثل كوبا ، ما زال استخدام الوسائل الكيماوية في الزراعة ـ وخاصة الرش بواسطة الطيران ـ يعتبر مؤشرا لانجازات الثورة في التحديث الزراعي (٢١) . وينطبق ذلك ايضا على الاتحاد السوفييتي ، حيث وصلت القوى المنتجة درجة ارقى من التطور ، فيكتب موروزوف في كتابه عن الزراعة في الاتحاد السوفييتي الصادر عن المؤتمر الخامس والعشرين للحزب الشيوعي : « يحتل الاتحاد السوفييتي المرتبة الاولى من حيث نطاق استخدام الطيران في الزراعة . فالطيران يقوم الان بنصف مجموع الاعمال الخاصة بالوقاية الكيماوية للنباتات ، من الحشرات الضرة والامراض ، واكثر من ٦٥٪ في مجال القضاء على النباتات الطفيلية بواسطة المبيدات » (٢٢) . ولكن والفرق اساسي بين التغليب الاني لاستعمال وسائل الابادة الكيماوية في الاقتصاد الاشتراكي والتغليب البنيوي لاستعمالها في الاقتصاد الراسمالي الذي تقرر فيه ضرورة زيادة ارباح الصناعات الكيماوية ومتطلبات النقص الاضطراري في التشغيل وحتمية تحقيق الربح السريع . كذلك يتعذر استخدام البدائل البيولوجية بصورة مضطردة مع التطور الراسمالي ، بينما يحتضنها الاقتصاد الاشتراكي كلما ارتقى في تطوره وكلما توفرت منجزات الثورة البيولوجية واتضحت افضليتها .

ففي الاتحاد السوفييتي ، مثلا ، بدات مؤخرا تتجلى اكثر فاكثر افضلية الطريقة البيولوجية ، وبدات مع تجليها محاولات احلالها محل الكيماوية . ففي حالة قرادة العنكبوت مثلا المضرة جدا للخيار المزروع في تربة مغلقة ، صارت تستخدم اليوم لمكافحتها قرادة الفيتوسيلوز الضارية . وهنا تستبعد نهائيا ضرورة استخدام المواد الكيماوية . وقد تخلى كولخوز « لينينسكي لوتش » نهائيا عن استخدام المواد الكيماوية لمكافحة قرادة العنكبوت على كافة مساحته . كذلك تستخدم الكثير من الاستثمارات مستحضرا جرثوميا خاصا يسمى انتيبكترين في مكافحتها للحشرات المضرة بالفواكه والخضروات وغيرها من المزروعات . كما ان استخدامه يمكن من الامتناع نهائيا عن المواد الكيماوية السامة (٢٣) . ولا بد من الاشارة هنا الى ضرورة التخلي التام عن استعمال الوسائل الكيماوية . اذا ما اريد للوسائل البيولوجية ان تنجح . وتؤكد على ذلك تجربة اسرائيل العينية في هذا المجال : فبعد نجاح كبير في وقاية الحمضيات والقضاء على امراضها بطرق بيولوجية ، عاد رش حقول القطن كيماويا بواسطة الطيران ، ليقضي على العدو الطبيعي ـ الذي كانوا قد استوردوه من استراليا ـ في حقول الحمضيات ، مما ادى الى عودة ظهور امراض الحمضيات من جديد ، والى ظهور امراض جديدة في حقول الافوكادو المجاورة للقطن ، وفي فروع زراعية اخرى ، كنتيجة حتمية للخلل الايكولوجي الذي احدثه استعمال وسائل الابادة الكيماوية في القطن نفسه . وقد بدا الاعتماد المكثف على الوسائل الكيماوية ، اثر تكريس علاقات الانتاج والتبادل الراسمالية في الزراعة الاسرائيلية في اواخر الستينات ، والذي يتمثل في استخدام العمل الماجور وفي اندماجها الكلي في السوق العالمية ، واحتلالها موقعا مميزا من تقسيم العمل الدولي ـ ومع هذا التحول الراسمالي نهائيا ، باءت بالفشل كل محاولات العودة الى استخدام الاساليب البيولوجية ، على الرغم من قناعة العلماء الزراعيين الاسرائيليين بافضليتها ونجاعتها ، وعلى الرغم من انجازاتهم الخلاقة في تقديم بدائل عديدة للاسلوب الكيماوي مثل تعقيم التربة بتشميسها من خلال نوع خاص من البلاستيك وغيره من الاساليب المتجددة ، بالاضافة الى العدو الطبيعي والتعزيز البيولوجي للمناعة ضد الامراض (٢٤) . وعندما اصبحت الزراعة الاسرائيلية عاجزة عن توفير شروط تحقيق هذه البدائل البيولوجية ، باتت مؤسسات الابحاث الاسرائيلية تعدها للتصدير الى مصر وغيرها من الدول النامية . فالتجربة الاسرائيلية هذه تقدم دليلا عينيا آخر على موضوعية عدم التوافق بين امكانيات استخدام ارقى الانجازات العلمية في مجال الوقاية البيولوجية وبين مقتضيات التطور الراسمالي في مراحله الراقية .

---

٢٢ ـ موروزوف ، الزراعة في الاتحاد السوفييتي ص ٢٥٧ .

٢٣ ـ المصدر السابق ، ص ١٦٦ .

٢٤ ـ يعتمد هذا العرض التحليلي للتجربة الاسرائيلية على معلومات جمعتها كاتبة المقال من خلال مقابلات شخصية مع عدد كبير من العلماء الزراعيين في اسرائيل ، وخصوصا بروفيسور سوبرسكي في معهد فولكاني للبحث الزراعي وبروفيسور روزين في الكلية الزراعية للجامعة العبرية في رحوبوت ، واللذين يترأسان اللجنة القطرية للوقاية البيولوجية للنبات . وقد اجريت هذه المقابلات في ربيع ـ صيف ١٩٧٨ .

٦ ـ محدودية الحل التكنولوجي لمشكلة الجوع وسوء التغذية في اطار علاقات الانتاج و التبادل الرأسمالية :

واما التحسن في وضع التغذية الجماهيري ازاء متطلبات عملية التراكم الراسمالي فيحسمه الصراع الطبقي وليس التكنيك .

من هذا المنطلق ، فان الترويج للشعارات التي تقول بتكثيف الانفاق في البحث الزراعي كعلاج لمشكلة الجوع هي عملية تمويه وتضليل . وكذلك هو الشعار القائل بتبديل التكنولوجيا الزراعية الموجودة بتكنولوجيا اكثر ملاءمة لمتطلبات القضاء على واقع التخلف وانعكاساته على تغذية الجماهير . فان المشكلة الاساسية ليست في طبيعة المقومات العلمية التكنولوجية الموجودة بل انها تكمن في نوع علاقات الانتاج السائدة ، والتي بدورها تقرر في توجيه التطور العلمي التكنولوجي واستخدامه .

ومن هنا ، يتعذر الحل التكنولوجي لمشكلة الجوع وسوء التغذية في اطار علاقات الانتاج والتبادل الراسمالية . فقد اعترف نفين سكرمشو ـ من قادة علماء التغذية الامريكية على ضوء دراسات وجولات ميدانية لبحث وضع التغذية العالمي ، ان ظاهرة سوء التغذية في الدول النامية قد تم القضاء عليها بنجاح فقط في تلك الدول التي جرى فيها التحول الاشتراكي لعلاقات الانتاج ، مشيرا عندئذ الى فيتنام الشمالية وكوبا والصين الشعبية وكوريا الشمالية . وتفيد التقارير عن تجربة تشيلي ايضا والخاطفة بمحاولات القضاء على سوء التغذية المزمنة فيها (٢٥) ، ان تحسنا ملموسا في وضع التغذية الجماهيري كان قد حصل لاول مرة في تاريخ تشيلي الحديث فقط خلال السنوات الثلاث لحكومة ايندي ، لان برنامج ايندي احدث تغيرا في موازين القوى لصالح الطبقة العاملة والتي تمكنت بدورها من انتزاع تنازلات من الطبقات الحاكمة ، تجسدت في تحسن الوضع الغذائي بين جماهير الكادحين (٢٦) .

ان هذه المعطيات النظرية والعينية مجتمعة تؤكد حتمية الحل السياسي لمسالة التغذية عن طريق التحويل الاشتراكي لعلاقات الانتاج الراسمالية . اذ انه في ظل علاقات الانتاج والتوزيع الاشتراكية يصبح العمل حقا مطلقا ، لا مسالة تؤثر فيها السوق ومتطلبات تراكم الراسمال . ويستهدف الانتاج المبرمج سد حاجات اجتماعية محددة وليس زيادة الارباح الخاصة . ويحل التوافق محل التناقض بين علاقات الانتاج والتبادل من جهة ، وتطور القوى المنتجة من الجهة الاخرى ، فلا تزداد تلك العلاقات الا اتقانا وتكاملا بازدياد الاتقان التكنولوجي ونمو القوى المنتجة ، مما يوفر تدريجيا القاعدة المادية للمجتمع الشيوعي ، حيث يكون العمل من كل حسب طاقته والتوزيع لكل حسب حاجته .

فقط في ظل ظروف كهذه تتلاشى الارضية الاجتماعية للجوع ولسوء التغذية ، ويصبح للتقدم العلمي والتكنولوجي الدور الحاسم في تحسين وضع التغذية الجماهيري .

كانت هذه الدراسة محاولة لتقييم الثورة العلمية التكنولوجية الحديثة في الزراعة على ضوء مفعولها في القضاء على مشكلة الجوع وسوء التغذية في عالم اليوم . وان معطياتنا النظرية والعينية تؤكد عدم وجود علاقة مباشرة بين التطور العلمي التكنولوجي من جهة والتحسن او التردي في وضع التغذية الجماهيري من الجهة الاخرى .

اما التردي في اوضاع تغذية الجماهير ـ في دول العالم الثالث ـ فيكمن في التحول الراسمالي لعلاقات الانتاج والتبادل ، وتكريس تلك العلاقات فيها . ويستخدم البحث العلمي الزراعي بالاساس في تسريع هذا التحول وتامين متطلبات التراكم الراسمالي المشوه وغير المتكافىء .

---

٢٥ ـ كما يدونه بيتر حكيم وجورجيو سولبمانو في كتابهما : « التنمية والاصلاح ، وسوء التغذية في تشيلي » مصدر سابق .

٢٦ ـ يستمد هذا التحليل من معطيات وردت في كتاب حكيم وسولبمانو (المصدر السابق) كجزء من مقال استعراض ونقد للكتاب اعدته تجوى مخول وسام بيكر للنشر في « المجلة الدولية للخدمات الصحية » . (بالانجليزية) .

صدر مؤخرا :

فوق الجبال شموخا

حمزة نجيب بشير

هذا الديوان هو باكورة حمزة نجيب بشير .. ومع هذا فالشاعر « يقرض الشعر من زمن بعيد وينشر قصائده بين الحين والحين على صفحات الجرائد والمجلات او يقرأها في المناسبات » .. (التقديم) .

ويقع الكتاب (توزعه دار الاسوار عكا ، وطبع في مطبعة دار المشرق في شفاعمرو) ويقع في ١١٦ صفحة من الحجم المتوسط ويشمل ٤٠ قصيدة تتناول مواضيع مختلفة بينها قصائد استنفرتها مناسبات عامة وفردية .

وجاء في قصيدة « وردة سوداء » (توجها الشاعر بهذه الكلمات : قالها العاشق ، فماذا يقول الجاني ؟) :

تحت خيمة الريح
المرفوعة
فوق اكواز الصنوبر
يتذكر
ماضيه دفتر
يقفز يركض يتبختر
على بيادر ايلول
بيديه
طيارة من ورق احمر
والاماني تكبر ..!!

حول بحث الدكتور اميل توما ـ تراث درزى ·· أم مؤامرة على الدروز

التــراث الدرزى ·· بين الرؤية الحقيقيــة والاستهـلاك السيـاسى

بقلم : نزيه خير

ليسمح لى الدكتور اميل توما ان اقدم لهذا التعقيب فى جملة ملاحظات قد ينتظرها البعض منذ امد بعيد ، لعلها تنفض غبار المعاناة فى داخلى اولا ، ولعلهـــا تضيف شيئا الى رصيد الحقيقة التى تضيع احيانـــا بين ايدى المخلصين وغير المخلصين على حد سواء .

هناك حقيقة اساسية لا يمكن تجاهلها فى مجال التعامل الفكرى والعملى مع القوى الماركسيــــة والشيوعية وهى ان انطلاق هذه القوى يبدأ وينتهـى بالحصر فى مساحة الالتزام الواضح ، وان كـــانت الماركسية تعطى مجال المناورة مع الواقع الذى تنشأ فيه وتحاول فهمه من منطلقات طبقية وايديولوجيـة محددة . ولكى لا اغرق القارىء فى متاهات نظريـــة مجردة فاننى ارغب ان اشير الى حقيقة كون الحــزب الشيوعى فى بلادنا محورا ماركسيا وشيوعيا وقوميـا وجبهويا تقدميا ، وقد يدعى البعض بصدق احيانـا ان محاولة السلطة صد اى تنظيم عربى تقدمى واضح الى جانب هذه القوة المنظمة ، يعطى للحزب الشيوعى فرصة جمع العناصر التقدمية العربية الى جانبه ان شاءت او ابت لكى تسمع كلمتها او موقفها ، وهـذا يؤدى الى نتيجة طبيعية واضحة وهى ان اختلاف اى عنصر تقدمى عربى مع هذه القوة الام يعنى وضعه بشكل تلقائى الى جانب القوى الرجعية التى يجـب شلها ومحاربتها .

ولما كانت الصحافة الشيوعية العربية فى بلادنا هى المنبر الحقيقى لادبنا وفكرنا السياسى التقدمـى فقد تصبح عملية التصنيف والمحاسبة امام الجماهيـر العربية فى الداخل والخارج بواسطة هذه الصحافـــة عملية فى غاية الخطورة بالنسبة للعناصر التى تجـد ان هناك مجالا لنقاش الحزب الشيوعى فى بعض الامور المختلف عليها . فالمعروف لجماهيرنا العربية ان لجنة المبادرة الدرزية التى تنتهج خطا سياسيا واضحا الى جانب الحزب والجبهة الدمقراطية تفرض بشكل تلقائى التزامات معينة على شركائها فى العمل السياسى حتى ولو كان الامر مفتوحا للنقاش الجماهيرى ، او امـرا داخليا يخص الطائفة الدرزية بالحصر . ان طرح هذه الامور الاولية لا يعنى بالنسبة لى شخصيا اننى اختلف اختلافا جوهريا مع الخط العام الذى يطرحه الحزب والجبهة ولجنة المبادرة ، غير اننى اقول فى غايـــة الصراحة ان اعتقاد الحزب والجبهة ولجنة المبـادرة ، ان اخضـــاع ايـــة مسالـــة جماهيريـــة للخـط الـــذى يرتأونـــه لا يبـدو انـــه يقوم دائمـــا على اعتبارات موضوعية او حسابات وطنية او قومية تقدمية ، والا فاننى لا ارى على مستوى عمل الجبهة الدمقراطية اى مجال لتكريس (درزية) لجنة المبادرة مقابل رفضى لتكريس (درزية الصهيونية) مع الفـرق الاساسى طبعا فى نوعية العناصر .

ان هذه الخلفية هى التى تؤدى فى النتيجة الى اتخاذ المواقف النهائية بالنسبة لقضية تعليم (التراث

الدرزى) فى المدارس الدرزية ، هذه القضية التى تناولها بالتحليل العام الدكتور اميل توما فى العدد الاخير من مجلة الجديد .

ان التوجه الماركسى الذى التزمه الدكتور توما فى بحثه للقضية يطرح صعوبة معينة فى محاولتنا لفهمه متى يرغب ان يكون (ماركسيا تكتيكيا) من اجل ايجاد التبرير الايديولوجى او العملى للموقف الذى يتبناه . هذه الصعوبة تنبع فى واقع الامر من محاولة (توليد) هذا التراث على طاولة سياسية وبواسطة عملية قيصرية حسب رغبة لجنة المبادرة الدرزية . اننى لا اختلف مع الدكتور توما فى معالجته للتوجه الاستعمارى والخارجى الذى حاولوا تطبيقه على طوائف شعبنا فى مراحل تاريخية مختلفة فى لبنان وسوريا وفى اسرائيل . وهنا يكمن فى تقديرى الاحساس الطبقى بان خطرا دائما من جراء ذلك قد يلحق بالدروز دون غيرهم . لم يكن — حسب رايى — فى مقدور الطائفة الدرزية ان تقاوم مقاومة فعالة قانون التجنيد الاجبارى فى عام ٥٦ لاسباب سياسية وثقافية واجتماعية لا اريد ان ادخل الى تفاصيلها الان ، غير اننى ارغب ان اسجل الى جانب ذلك ان حالة من الاهتزاز النفسى والحساسية الرهيبة واكبت هذا الحدث وانعكست على الطائفة الدرزية اولا وعلى باقى طوائف الاقلية العربية ثانيا ، ولا اخطىء اذا قلت ان رجالات الحزب الشيوعى وصحافته من قطاعات عرب اسرائيل كانت الوحيدة تقريبا التى رات حساسية هذه المسألة فى رؤية علمية صادقة فندت باصرار التهم التى لحقت بالدروز نتيجة هذا الواقع فى حين كانت قطاعات واسعة من عرب اسرائيل ولاسباب — لا اريد تفصيلها ايضا — تمد اصابع الاتهام والخيانة وتحمل الكراهية للطائفة الدرزية نتيجة ما حصل دون ان تبحث عن المتهم الحقيقى وحول ذلك نقول اليوم والحمد لله ان هذه الرواسب الاساسية قد زالت من اساسها تقريبا بفضل نشاط الحزب اولا . غير ان رواسب الحساسية بقيت وكبرت وترسخت مع مرور الايام بسبب ازمة الثقة بالنظام والسلطة فى اسرائيل واصبح اى حدث تشهده الطائفة الدرزية يثير جدلا وقلقا وخوفا ويترك بصمات عميقة على نوعية العلاقات المشتركة مع باقى طوائف الاقلية العربية ، واذا كانت لجنة المبادرة الدرزية قد تبنت فى بداية عملها مقاومة قانون التجنيد الاجبارى فان الاستهلاك الدائم لهذه القضية قد وصل كما يبدو الى مرحلة (تعب المادة) وهذا شىء طبيعى واصبحت هناك ضرورة طبيعية وملحة لدعم العمل بقضايا جوهرية وجماهيرية اخرى فجاءت مسألة تعليم التراث الدرزى لتأخذ دورا هاما ورئيسيا فى هذا المجال ولتعطى للمبادرة خبزا سياسيا طازجا .

اعتقد اعتقادا مخلصا وحقيقيا ان هذه المسألة فى مجملها تحولت رغما عنها الى (خبز سياسى) لم توجد فى الاصل لاجله ولم تقم على خميرته ، ومع احترامى الشديد للبحث التفصيلى الذى وضعه الدكتور اميل توما فاننى ارغب ان اكمل حول هذه القضية الامور التالية مؤكدا لجميع الاصدقاء والمعارف والقراء ان اختلاف الراى لا يفسد للود قضية .

١ — لا يخفى على قارىء او دارس فى جميع بلاد الشرق العربى ان اسبابا تاريخية عامة وطبقية فى جوهرها جعلت من الديانة الدرزية ديانة سرية رغم ارتفاعها فى نصوصها وتعاليمها الى ارقى درجات الرقى الاجتماعى والفلسفى والتشريعى ، وان انحصار هذه الديانة فى قطاع طبقى خاص حرم اجيالا درزية واسعة من التقرب الى هذا العالم الروحى الذى يعتبر ضرورة نفسية وروحية فى مجتمعات محافظة وغير محافظة ، مما جعل المسؤولين عن شؤون الطوائف الدرزية فى سوريا ولبنان يعتمدون فكرة تدريس التراث الدرزى فى المدارس الدرزية ما دامت امكانية تدريس الدين نفسه غير واردة فى الحسبان ، ولدينا الكثير من نصوص هذا التراث الصادرة عن بيت اليتيم الدرزى وعن المدرسة الداوودية بالتعاون مع وزارة المعارف اللبنانية . فهل تدريس التراث الدرزى فى لبنان يعنى دعوة الى انشاء قومية درزية منفصلة فى لبنان ؟

٢ — يدرس الطلاب الدروز فى جميع مدارس محافظة السويداء فى سوريا نماذج تعليمية خاصة عن تاريخ قراهم وآثارهم الادبية فى المنطقة ، ولدينا كتاب تدريس يحمل اسم (محافظة السويداء) تبرز فيه خصائصية سكان المنطقة من الدروز ، وقام بتاليفه اثنان من قيادة حزب البعث السورى احدهم هو شبلى العيسمى . فهل يعنى ذلك ما تعنيه قرائح (السياسيين التقدميين) فى بلادنا ؟ وهل تدريس التراث الدرزى فى سوريا ولبنان جاء ايضا ليخدم مؤامرات صهيونية خرجت من بلادنا ؟

٣ — هناك العشرات والمئات من المصادر العلمية التى وضعها مؤلفون دروز وغير دروز عن خصائصية المذهب الدرزى وعن تاريخ الدروز فى سوريا ولبنان وفلسطين ، فهل جاءت هذه الدراسات جميعها لدعم آراء استعمارية وصهيونية وانفصالية وهل الاعتماد على بعض هذه المصادر لكتابة مواد التراث الدرزى يشير حصرا الى دعوات سياسية مشبوهة ؟

٤ ــ لم تتكرم وزارة المعارف والثقافة فى اسرائيل (بخلق) حصص خاصة بالتراث الدرزى ، وهــــذه حقيقة يعرفها جميع المعلمين والعاملين فى حقل التعليم ، بل هى حصص معدة فى ملاك المدارس لتعليم (الدين) وكانت هذه الحصص مجمدة فى المدارس الدرزيــــة على مدى السنين الكثيرة السابقة ، وهذه الحصص تكرس فى ملاك المدارس الدرزية اسوة بحصص تعليم الدين المسيحى والدين الاسلامى ، فهل من حق الطالب المسلم او المسيحى التقرب الى عالمه الدينى والروحى وعلى الطالب الدرزى ان يحرم من ذلك حفاظا علــى حساسية وشعور المشتغلين بالتوقعــات السياسية وخوفا واضحا من رواسب الماضى وقانون التجنيد .

٥ ــ اذا كان هدف تعليم التراث الدرزى هو خلق لشخصية انفصالية كما يدعى الدكتور اميل توما فمن اين جاءت جذور هذا التراث .. اليست هى عربيـــــة واسلامية وشرق اوسطيــة ، وكيف يمكن لمتصف ان يدعى هذه الادعاءات ما دامت كل فاصلة وحرف حول شخصية او عائلة ما ترجع وبشكل واضح الى اصولها حسب وثائق تاريخية محققة ، وظاهرة فى هذه المواد .

٦ ــ نعم ... ان التراث الدرزى فى بلادنا هــــو تراث فلسطينى وعربى وشرق اوسطى على المستـوى الحضارى وليست هناك اية حاجة الى الاشارة لذلك فى اطارات الشعارات المباشرة او غير المباشرة ، ولم تقم والحمد لله عند الدروز بعد دعوات تحاول ردهــم الى الفارسية او السريانية او الفرعونية او الفينيقية ، ولا يهدف التراث الدرزى باى شكل من الاشكال الى دعوات مشابهة ، ولا يستطيع ذلك ، وعروبة الدروز ليست موضع مساومة او متاجرة .

٧ ــ ان العالم الروحى لاى يهودى او مسيحى هو ملك له فى توراته وقرآنه وانجيله ، ولا يمكن لاى عملية تذويب وانحلال حضارى او عرقى ان تتم بسرعة امام هذه الدعائم الروحية الكبرى ، فلماذا لا تنظر الـــى الجانب الاخر من تدريس هذا التراث فى اسرائيـــل بالذات ، الجانب الذى يمنع تلقائيا الانصهار فى المجتمع الاقوى والاعظم حضاريا ، المجتمع الذى كان سببا فى خلق احياء نصف درزية كاملة فى بئر السبع وايــلات وروش هعاين يسكنها شباب دروز مع ابناء وبنـات يأكلهم القلق على مصيرهم بعد ان صاروا انصاف دروز او شئت انصاف عرب .

٨ ــ ان محاولة الدكتور اميل توما عرض هــــذه المسألة على انها سياسة مبرمجة لستثترت كـــل امكانات السلطات المسؤولة فى اسرائيل وما ورثته من مخلفات الاستعمار الانجليزى هى محاولة سياسيـــة سهلة العرض والقبول فى ايامنا هذه التى تواجه بهـا الاقلية العربية بعنف وشراسة معارك يومية قاسيـــة ومصيرية فى حياتها تجعلها وبصدق تفقد ثقتها فى هذه السلطة وفى سياستها ، غير اننى اود ان اؤكد للدكتور اميل وللقراء جميعا ان الدعوة الى تعليم التـــراث الدرزى نشأت فى ظروف غير التى يطرحها فى تحقيقـه ولسنا نحن (القيمين) على هذا التراث رجال سلطة ، ولسنا سذجا ، ولا ندعو الى الانفصال ، فليس من صالحنا وصالح مجتمعنا ذلك . ان ما نفعله هو مــا يفعله اخوان لنا فى سوريا ولبنان فى هدف اعطاء البديل لمنع تدريس الدين الدرزى وذلك من اجل اولادنا وابنائنا وهذا الحق لا ننفيه عن اخواننا من الطوائف الاخــرى وليس لنا حق التدخل فيه ، واعتقد ان المسؤوليـة الاخلاقية والتاريخية عند السياسيين المهتمين بهذا الامر يجب ان ترشدهم الى ان هذه المسألة هى اصغر بكثير من حجم الوهم السياسى واذا كان الدكتور اميل يعتقد ان الطقوس الدينية لا يمكن ان تعتبر (تراثا توميـــا) ونحن نوافقه على ذلك فلماذا لا يناقش مسألة تعليم الدين المسيحى او الاسلامى مع هذه القضية . بقى ان اقول ان لدى ولدى الكثيرين احساسا مؤكـــدا ان لجنة المبادرة الدرزية جرت الكثيرين من رجالات الحزب والجبهة الدمقراطية الى مواقف غير مدروسة من هذه القضية ولا يبقى الا ان نأسف لذلك كل الاسف .

٩ ــ لقد رأى الدكتور توما ان يتعرض الى مؤلف (الادب الشعبى) الذى ساهمت فى وضع مواده ، مع اننى اعترف اننى لم اساهم فى كتابة مقدمته ، ولا ادرى كيف استطيع تفسير التناقض الواضح بين تقديره ان فى الكتاب محاولة واضحة لتمييز التراث الشعبى عنـد الدروز عنه عند باقى الطوائف العربية وبين اعترافه اننا نشير الى عروبة هذا التراث فى اماكن اخرى فـى الكتاب . وقد يدرك الدكتور توما بينه وبين نفسه ان ما وضعته فى هذا الكتاب من نماذج للادب الشعبى تقوم على خلفية الثورة السورية ضد الاستعمار الفرنســى وعلى خلفية ثورة العامة ضد الاقطاع فهل يعنى ذلك اننا نغنى (هاتا نجيلا) ؟

اننا لا نضطر اضطرارا الى العودة الى الاصول العربية فى جمع واحياء هذا التراث ، بل نرى فى ذلـك تربته الاصلية والحقيقية واذا كان الفكر الماركســـى يهدف الى تجاوز المرحليات الدينية والقومية فى هـــذا المسار فلا يبقى فى واقعنا الحــالى اذا تراث ســـورى او فلسطينى او اردنى مميز ، وتعاملنا مع سمــات

هذا التراث تخضع فقط لمسالة العرض والطلب فى اسواق المزايدة السياسية لا غير .

ان الكلمة الاخيرة التى يجب ان لا تنسى هى ان تدريس هذا التراث جاء بديلا لتدريس الدين الدرزى. ورغم المفارقة فى الامر فان تلقين التراث وتدريسه يظل فى نظرى مرحلة اقرب واسمى الى الانسانية المطلقة من تدريس نماذج مختارة من الدين (ايا كان) التى تدعى ان تلك (اشرف امة اخرجت للناس) ، وان ذاك هو (الشعب المختار) وان اتباع ذاك هم (العرق الاسمى) ولا ارغب ان اذكر التداعيات التى اشار اليها الدكتور اميل توما فى هذا المجال فاننى اضن بها على اى حى من هذه الانسانية ايا كان دينه وايا كان انتماؤه .

ملاحظة : تنشر « الجديد » هذا المقال دون اى تصرف او تحرير . وابراز بعض الفقرات منه بالاسود تعود الى المحرر .

تعقيب الدكتور اميل توما

فى معرض الرد على تسويغ رجعى

لا بد فى البداية من اسقاط سفسطائية الاستاذ نزيه خير حول « التعامل الفكرى والعملى مع الماركسية والشيوعية » .. فهو فى تعامله يخلط المقولات ويتخبط فى طرحها وتفسيرها .. فالحزب الشيوعى ليس محورا ماركسيا وقوميا الخ .. بل هو حزب ماركسى .. يرفض الايديولوجية القومية القائمة على التقوقع الشوفينى.. وهو يجمع بين الاممية البروليتارية والوطنية الصادقة..

كما ان العناصر التقدمية والوطنية لا تلتف حوله لان السلطة تدفعها الى ذلك « شاءت ام ابت » بل لانها تؤمن بطريق الحزب واقتنعت بخبرتها الفنية — والمؤلمة فى كثير من الاحيان — ان سياسته تعرب عن اعمق امانيها وتطلعاتها .

والقول « شاءت ام ابت » يدخل فى الكلام الرخيص البائس .. ومثله محاولة التظاهر بان « مناقشة الطروحات التقدمية تبدو مخاطرة ويشبه المقدم عليها وكانه شهيد فكر .. »

يعلن الاستاذ خير انه لايختلف جوهريا مع خط الحزب والجبهة ولجنة المبادرة الدرزية العام .. ولكنه لا يعتقد ان من الضرورى اخضاع كل مسالة جماهيرية لهذا الخط ..

هنا موضوع الخلاف الجوهرى .. بل بهذا القول ينفى الاستاذ اعلانه انه يتفق مع الحزب والجبهة ... جوهريا .. **فلا يمكن ان يتفق المرء بشكل عام مع الحزب فى مقاومة الاضطهاد القومى ، الذى تمارسه السلطات ازاء الجماهير العربية ، ثم يناصر هذه السلطات فى اجراء من اجراءات الاضطهاد القومى ..**

ثم ان القضية ليست قضية اخضاع او غير اخضاع هذه المسالة او تلك .. بل قضية تحليل هذا الوضع السياسى او ذاك .. هذه الظاهرة الاجتماعية او تلك ، هذه الايديولوجية او تلك ، ورؤية موقفها فى اطار الصراع الجذرى فى البلاد واتخاذ موقف محدد منها يتوافق مع مصلحة الجماهير العربية .. والشعب اليهودى الاسرائيلى .. يتوافق مع المعارك المصيرية الدائرة فى هذه البلاد .

ولذلك لا يمكن ان نرى قضية التعليم العربى عامة بمنظار معين .. ونعالجها من منطلقات تقدمية ثم نرى قضية تعليم التراث الدرزى بمنظار آخر او نعالجها من منطلقات اخرى فلا نرى اذا كانت هذه الظاهرة سلبية او ايجابية .

سأترك حملة الاستاذ خير على لجنة المبادرة الدرزية لقادة هذه اللجنة فهم احق منى فى الرد عليه وتفنيد مزاعمه وكان اللجنة (استنفدت دورها واصبحت عاطلة عن العمل ولهذا فتشت عن « خبز سياسى طازج » ووجدته فى « التراث » ..)

لو كان الاستاذ خير امينا مع ادعاءاته ومثابرا فى منطقه لاكتشف ان مقاومة مؤامرة تعليم « التراث الدرزى » تنسجم تماما مع مقاومة التجنيد الاجبارى .. فدوافع السلطة فى الحالتين واحدة — محاولة سلخ الطائفة الدرزية عن جماهير شعبها العربى ..

ولو كان الاستاذ خير مقتنعا بقوله ان رجالات الحزب الشيوعى قاموا بدور هام فى نفى التهم التى الصقت بالدروز فى وقت مضى بسبب التجنيد او موقف الزعماء التقليديين ..

لو كان الاستاذ مقتنعا بذلك لادرك ان الشيوعيين حين يتصدون لمؤامرة تعليم « التراث الدرزى » انما يتصدون لاولئك النفر من رجال السلطة الذين يريدون تنشئة الجيل الصاعد من ابناء الدروز تنشئة انعزالية طائفية استعلائية .

ثم اليس من واجب الاستاذ ، وهو قلق على علاقات ابناء الدروز مع سائر الطوائف العربية ، ان يبذل كل جهد حتى يلغى ما يراه من رواسب الريب والشكوك التى نشأت فى الماضى ؟.. وهل يمكن الغاء هذه الرواسب ، اذا كانت قائمة فعلا ، بطريقة انعزالية طائفية استعلائية ؟

والان لننتقل الى بعض الامور العينية ..

يزعم الاستاذ ان المسؤولين عن شؤون الدروز فى سوريا ولبنان يعتمدون فكرة تعليم « التراث الدرزى » .. ويتساءل هل يعنى هذا انهم يدعون الى انشاء قومية درزية ؟

لم نطلع على مثل هذه الكتب لا اللبنانية ولا السورية .. ولكننا نستطيع ان نستنتج من المثل الذى اورده — تدريس موضوع محافظة السويداء — ان المسؤولين فى سوريا ابعد ما يكونوا عن تعليم تراث درزى .. وتدريس جغرافية ودمغرافية محافظة السويداء لا يختلف عن تدريس جغرافية ودمغرافية محافظات القطر السورى الاخرى ..

والاشارة فى هذا الكتاب الى ان ابناء الطائفة الدرزية يعيشون فى هذه المحافظة .. او تاكيد بعض معالم تطورها التاريخية المرتبطة بهذه الطائفة لا يتصل بقريب او بعيد بالنهج « التراثى الدرزى » التى يريد ان يفرضه حكام اسرائيل على الطائفة فى هذه البلاد ..

ولا بد من ان يعرف الاستاذ ان اصرار دروز سوريا على انتسابهم العربى دفعهم الى تغيير اسم جبل الدروز فاصبح جبل العرب .

وهو يعرف ان قادة الدروز الوطنيين فى القطرين العربيين السورى واللبنانى حاربوا فى الماضى ويحاربون اليوم جميع محاولات الامبريالية والصهيونية والرجعية العربية التى تحاول بذر الفرقة بين الطوائف العربية خدمة لاغراضها ..

ومشهور جدا دور الشهيد كمال جنبلاط فى هذا المضمار .. بل ان كمال جنبلاط دفع حياته ثمنا لكفاحه الوطنى من اجل وحدة لبنان وعروبته ..

ولذلك من الاسفاف والتجنى على الحقيقة مقارنة المؤامرة هنا بما يجرى فى القطرين العربيين ..

نحن لا نشك فى ان هناك عناصر تخدم الامبريالية والصهيونية والرجعية العربية بين جميع الطوائف العربية فى القطرين العربيين .. ونحن نرى نتائج نشاطها المأساوى فى لبنان .. وفى سوريا (حيث ينشط الاخوان المسلمين من منطلقات طائفية اسلامية ويفجرون خلافات بين العلويين والسنة) ..

ومن هنا كان من حقنا اذا اردنا المقارنة .. ان نجد المقارنة بين هؤلاء فى سوريا ولبنان والقيمين على « التراث الدرزى » فى هذه البلاد ..

ونعجب كيف غاب هذا الامر عن الاستاذ خصوصا وقد سجل انه لا « يختلف مع الدكتور توما فى معالجته للتوجه الاستعمارى والخارجى الذى حاولوا تطبيقه فى مراحل تاريخية مختلفة فى لبنان وسوريا وفى اسرائيل».

فهل يعتقد ان حكام اسرائيل توقفوا عن استخدام الطائفية ! .. او هل توقفت الامبريالية والرجعية عن استغلال الطائفية لاغراضها السافلة ؟

يسال الاستاذ بشىء من السذاجة او الخطابية المنبرية : هناك العشرات والمئات من المصادر العلمية التى وضعها مؤلفون دروز عن خصائصية المذهب الدرزى فى سوريا ولبنان وفلسطين فهل جاءت هذه الدراسات جميعها لدعم آراء استعمارية .. الخ ؟

لا يحتاج المرء الى كثير من الذكاء ليجيب بشكل قاطع لا ! وبدون استعراض الكتب الصادرة فى الاقطار الثلاثة نستطيع ان ندلل على هذا الكلام فنذكر كتابين على الاقل صدرا فى هذه البلاد : « واقع الدروز فى اسرائيل » لنبيه القاسم .. و « الدروز من هم وما قيل فيهم فى القرن العشرين » لجامعه قاسم فرو ، لنؤكد ان من الدراسات حول الدروز ما تصدى للامبريالية والصهيونية والرجعية ووضع ابناء هذه الطائفة فى موقعها الصحيح فى تاريخ الشعب العربى ..

ان الحكم على هذه الدراسة او تلك يعتمد على مضمونها .. فان خدم الحقيقة والنضال من اجل اعذب تطلعات الجماهير كان تقدميا .. وان خدم اعداء الجماهير ومستغليها كان رجعيا .

ولهذا يجرى الحكم على كتب « التراث » التى صدرت هنا على هذا المقياس .. ومن هنا ، كان حكمنا ان هذه الكتب رجعية تخدم سلطات تكره الجماهير العربية وتحقد عليها عنصريا وتسعى الى تفتيتها .

ونصل عند هذا الحد الى ما يعتقده الاستاذ « عقدة الضب » او العامل الذى يسوغ تعليم « التراث الدرزى » وينسف من الاساس ! منطلقاتنا فى رفض هذا « التراث » وتفنيد مقوماته .

يقول ان تعليم « التراث » جاء ليسد فراغا فى مناهج التعليم ، التى تشمل تعليم الدين فى حصص مقررة .. ويضيف ان المسلمين يتعلمون دينهم والمسيحيين يتعلمون دينهم ، فى تلك الحصص ، ولكن الدروز لا يستطيعون ذلك لان الديانة الدرزية سرية وقد منع تدريسها ..

ان هذا تطاول على الحقيقة .. فالدين الدرزى هو دين توحيد ونشؤوه وملابسات تطوره ليست

سرية .. ومن الممكن حتى ترديد ما كتبه الاستاذ من ان هذا الدين يصل الى « ارقى درجات الرقى الروحي والاجتماعي » مع التحفظ من الانزلاق الى الضياع في المتاهات الفلسفية ..

ان منشأ الدروز واضح ونظن ان ابناء الطائفة يعرفونه ومن الممكن ان يلقنوه لاجيالهم الصاعدة في اطار التمسك بالهوية القومية العربية دون تعصب طائفي او تشنج انعزالي .

ويعترف الاستاذ نزير خير ان « جذور هذا التراث الدرزي » هي عربية واسلامية . ولا ينكر « ان التراث الدرزي في بلادنا هو تراث فلسطيني وعربي » .. فلماذا اذن لا تذكر هذه الحقائق في كتب القيمين على « التراث » ؟ وهل وزارة المعارف والقيمون على تدريس « التراث » على استعداد لان يدرسوا هذه الحقائق ويكشفوها للطلاب في مدارسهم ؟ عندئذ ستكون كتب التراث فلسطينية عربية يظهر فيها ابناء الطائفة الدرزية مثل غيرهم من ابناء الجماهير العربية .

وما دام الحديث عن الدين : لماذا لا تدرس في هذا الاطار « طقوس الموحدين » .. وقد اصدرتها مشيخة العقل في لبنان في كراس وصل الى هذه البلاد ، واكدت فيه المشيخة الصلة الوثيقة بالاسلام .

وبقيت مسالة واحدة نود ان نتعرض لها . ان الاستاذ الحريص على درزيته يعتقد ان تعليم التراث ضروري لمنع قيام « احياء نصف درزية كاملة في بئر السبع وايلات وروش هعاين « يسكنها شباب دروز مع ابناء وبنات ياكلهم القلق على مصيرهم .. » !!

يقصد الاستاذ خطر الزواج المختلط الذي « انزلق اليه » .. او « وقع في شراكه » شباب دروز .

ان الزواج المختلط ظاهرة في بلادنا .. وفي كل اقطار العالم ..

وهي ظاهرة اجتماعية .. بل انسانية .. ولا نعتقد انها تعود الى طابع التعليم او المنحى الثقافي .. فهي فردية ولا نظنها مشكلة خصوصا بعد ان ارتبطت فكرة مقاومة هذا الزواج بالعنصرية ... وقد يكون المرء داعيا قوميا وتراثيا وحتى متدينا ويتزوج من اجنبية تنتسب الى غير قوميته او دينه .. وقد لا يكون .

ولذلك فمن البهلوانية الخطرة تسويغ تعليم « التراث الدرزي » او المؤامرة على الطائفة الدرزية بمثل هذه الذرائع .. واذا كان القيمون على « التراث » قلقين من ظاهرة انسحاب بعض ابناء الطائفة من مجتمعهم واقامتهم في احياء في ايلات وغيرها فليناضلوا ضد التجنيد الذي نعتقد انه السبب الاساسي في انتزاع الشبان الدروز من مجتمعاتهم وتمزيق شخصيتهم وليناضلوا ايضا من اجل خلق الظروف الاقتصادية والاجتماعية الملائمة لاستيعاب الشباب العرب ، ومن بينهم الدروز ، اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا .

والمهم ان يرى الاستاذجوهر القضية فلا يفتش عن ذرائع لانجرافه في تيار سلطوي لا ينوي اي خير للجماهير العربية ومن بينها ابناء الطائفة الدرزية .

اميل توما

وما نسينا بقية

على البيوت ويسالونا : بعدكم قاعدين ؟ اليهود راح يذبحوكم اذا بقيتم في بيوتكم ! احملوا اغراضكم وياللــه عالبور ..

الانجليز لعبوا اللعبة القذرة .. من جهة يصرحوا انهم بيدعموا الملك ضد اليهود ومن جهة ثانية ما تركوا قطعة سلاح الا وسلموهم اياها .. وكانوا يساعدوهم على تهجيرنا .. كل ما شافوا عربي كانوا يسوقوه للجمارك .. جمعوا العرب عند المينا واغلقوا عليهم خط الرجعة .. وصارت هالقوارب تحمل وترمي في صور وصيدا .. الناس كانت مرعوبة .. من الاخبار اللي سمعوها عن معاملة الجيش .. تركوا بيوتهم مثل ما هي .. الخبز في الفرن .. والطبيخ عالنار .. السوق تركوه مفتوح ،صارت توصل سيارات وتحمل في البضاعة، نهبوا كل شيء ، القمح والاكل وادوات الكهربا .. وهدموا بيوت جديدة وباعوا حديدها وحجارها للناس .. انا وزوجتي واولادي تخبينا في دار القلعاوي .. قلت : والله باقي حتى لو ذبحوني انا واولادي وعملوا منا سرسيسو .. يا عمي ، صدقنا وما صدقنا ، كنا نبعث هذا الولد ناحية الحسبة ليطل على جيوش الملك عبدالله اذا وصلت مثل ما وعدونا .. العلامة على رووسهم طاقيه فيصلية وعلى راسها حربة .. لا شفنا طواقي ولا ما يحزنون .. راحت علينا وعلى اللي ركبوا في الشخاتير .. بعد يومين رجعت على دارنا ، لقيت الدار فارغة وما فيها شي .. شفته في عيني .. كان ختيار سكناجي فرغ الدار وما ترك فيها غير ورقة النفوس .. قلت في نفسي ، بالله ، على الاقل حافظوا على اسماء اولادنا .. » .

بـريد الجـديـد

كتب الاخ سليم شومر من الناصرة عن « ادبنـا الثوري المعاصر » يقول :

« ينشط اليوم ادبنا السياسي ويتطور يوما بعد يوم ويزداد كتابنا خبرة وتزداد قدراتهم في تقديم الكلمة لقرائها . ففي كلماتهم كفاح وثورة وجمال وحب فشعراء القضية وكتاب القضية يشعروننا بواقع الحيـاة التي نحياها اليوم .

ان كلماتنا كانت دائما وما زالت تتصارع مع الواقع وتتحدى الكلمات المعادية والصحف والمجلات الرجعية مجتمعة وتقف لها بالمرصاد . ونشا لدينا كتاب بلغوا ارفع المستويات في خلق ادب ثوري ونجحوا في توظيف الكلمة الادبية في المعركة الثورية النضالية التي تخوضها جماهير شعبنا » .

عن المواد التي لا تنشر

تصل الينا كل شهر عشرات الرسائل التي تتضمن انتاجا ادبيا منه ما يصلح للنشر ومنه ما لا يصلح . وحتى اليوم لم نكن نرد على كتاب الرسائل حول موادهم غير الصالحة للنشر من على صفحات المجلة وذلك على امل اللقاء بهم لتقديم ملاحظاتنا اليهم . وكنا ننجح في اكثر الاحيان لان اتصالاتنا بكتابنا وثيقة ، وان بعدت المسافات الجغرافية او الايديولوجية بيننا الا ان ما يوحدنا وما يجمعنا ، الهوية الواحدة واحترامنا لادبنا وكتابنا ، والرغبة في نشر عطاء المواهب المتفتحة ، كل ذلك يقصر هذه المسافات . ولكن ، لكي لا يطول الانتظار راينا ان نعود الى اللقاء مع هؤلاء الاخوان على صفحات الجديد لنشير من خلاله عما قد ينشر وعمـا لا ينشر . وبالطبع يظل امكان الحوار والنقاش مفتوحا من خلال هذا الباب او ابواب اخرى .

لن نتمكن ، في كل مرة ، من شرح الاسباب التي تحول دون نشر مادة معينة . وذلك لانها في اكثر الاحيان مجتمعة ومتشابهة لدى اكثر من كاتب ، كضعف الاسلوب والاخطاء اللغوية والركاكة وغيرها من الاسباب المرتبطة بالشكل ، ولهذا سنكتفي بالاشارة الى ان هذه المواد التي تنطبق عليها هذه الملاحظات لا تصلح للنشر دون تعليل الاسباب واما المواد التي نعتقد انها غير صالحة للنشر بسبب المضمون ، فاننا سنحاول شرح وجهة نظرنا حول هذه المادة لاننا نحترم راي وموقف كل كاتب ، ولا باس في ان يجري بيننا الحوار حول وجهات النظر ، لاننا على اي حال ، نريد لادبنا المحلي ان يكون تقدميا ووطنيا ومشرقا ، ولا ان تكون لهذا الادب اي سمة من سمات التخاذل والرجعية والياس والانتحار او الفاشية والعنف الدموي ، فلسنا نحن الذين نرفض هذا النهج من الكتابة فقط وانما كل جماهير شعبنا .

ولا بد ان نؤكد هنا ، ان « الجديد » التي تدخل في عددها القادم العام الثلاثين من عمرها ، تحمل مسؤولية كبرى في تطوير ورعاية ادبنا ، وهي تحظى بثقة وتقدير هذا الشعب في كافة مواقعه . ولذلك فاننا نغربل ونصفي الكثير من المواد الادبية التي تصل الينا وان كان ذلك يدخلنا احيانا في صراعات وحساسيات مع بعض الكتاب الذين قد لا يقدرون مسؤوليتنا هذه .

لـو كنت معي

في ملفاتنا عدد من القصائد والقصص التي ادخلناها في ملف « ما لا يصلح للنشر » منها قصيدة في ذكرى عبد الناصر العاشرة تحمل اسم « لو كنت معي » وبالطبع لاننا نجل هذه الذكرى ولاننا نحترم هذا الزعيم الخالد فلن ننشر قصيدة كهذه . « بيت القصيد » فيها هذه الفقرة :

غامت عيناي من الفرحة /
وخدرت قـدمي .
ناديت المعشوقة ثلاثا .
رددت فلسطين ثلاثا ، شفيت قدمي .

ويشير الكاتب الى « ان العرب القدماء ، كانوا يذكرون اسم الحبيب / الحبيبة ، ثلاثا حين يصيب الخدر احد اطراف الجسد فيشفى منه » .

ونشير نحن هنا الى ان كل ابيات القصيدة هي ١٢ بيتا . وينهيها بامنية « لو ان ابا خالد كان معه .. حين شعر في ذاك اليوم ان الله معه فعرف السر وارتج دمه » . ونعتقد انه لا حاجة لان نضيف اكثر مما قلنا وقدمنا .

اذكريني

وفي ملفنا قصيدة بعنوان « اذكريني » لشاعر

شاب يدرس في احدى الدول الاشتراكية ، يكتب فيها عن شوقه للقاء الحبيبة / للقاء الوطن — فلسطين . ولما قرانا القصيدة لم نعرف ان كان يكتب عن الحبيبة فلسطين ، او عن حبيبة في فلسطين فهو يكتب اليها بهذه الكلمات :

« عندما حواك جسدي الخشن
لم افكر الا بجسدك
وعندما حواني جسدك اللين
رايت النجوم والقمر
تتساقط فوق سريرنا موسيقى
وازهار ، ودفلى .
جسدك وطن عذوبة هذا الصباح
قدوم المساء الساكن
كالليل والسحر . »

وهكذا تستمر القصيدة ويلتهب الشوق . ولم تتعكر احلام الشاعر الا عندما ايقظوه :

« فقت ابحث عنك كالمجنون
بين اصابعي .. طرت .. لم اجدك
الا سرابا ، احذية جنود فوق صدري .
دم دموع . واحلاما فوق جروحي . »

هكذا في الاصل مع الاخطاء اللغوية . فمعذرة .

قصيدتان

* وفي ملفنا قصيدتان ارفقت اليهما رسالة يقول كاتبها :

« شيئان اكرههما : النسخ والنسيان . النسيان لاني حين انوي الكتابة ابحث عن قلم فلا اجد واتسى اين وضعت كل الاقلام التي تظهر دائما حين لا اشاء الكتابة ، والنسخ لاني ابذل جهدا كبيرا حتى اكتب بخط مقروء وهذا ياخذ وقتا طويلا ولهذا اؤجل الكتابة والنسخ دائما .

حسنا ، لا اخفي عليك ، لقد نسخت حتى الان اكثر من عشرين ورقة كهذه التي بين يديك وتستطيع انت ، ان تتصور حالتي بعد هذا النشاط والجهد العظيم الذي اديته » .

بعد ان قرانا القصيدتين لم يكن امامنا الا ان نعرب للكاتب عن اسفنا مرتين : اولا لانه اجهد نفسه في النسخ وثانيا لان قصيدتيه غير صالحتين للنشر . فالانسان « الذى صار قريبا ليوم سياتي » هو اليوم « اقرب الى الشط » منه الى « السوط » وان كانت سياط الاحتلال تلتصق بجلده منذ اكثر من ١٣ .

هذه نماذج من الانتاج الادبي الذي يصل الينا ، ولا ننشره ، وهناك نماذج اخرى تحمل روح العدمية واليأس والانتحار سنفرد لها حوارا في عدد قادم كذلك لدينا نماذج من القصة والمقالة والخواطر التي لا تصلح للنشر سنكتب عنها في ما بعد .

كل ما نتوخاه هو ان تقبل ملاحظاتنا برحابة صدر، مع كل تقديرنا وادراكنا لحماس الكتاب الشباب الذين يرغبون في قراءة انتاجهم على صفحات « الجديد » ..

صدر مؤخرا :

الكرمل *

صدر العدد الاول من المجلة الدورية « الكرمل » التي يصدرها المركز اليهودي العربي وقسم اللغة العربية وآدابها في جامعة حيفا .. ويقوم على تحريرها المحاضرون د. جورج قنازع ، اسرائيل شين ودافيد صيمح .

وجاء في تقديم المجلة في معرض تحديد اهداف القيمين عليها « انهم (الاساتذة والبحاثة في اللغة العربية) كانوا ولا يزالون مقتنعين بأن من الضروري ان يكون لهم منبر خاص يقدم لجمهور القراء المتخصصين والهواة على حد سواء ما يعدونه من دراسات في المواضيع التي يهتمون بها كمحاضرين وباحثين من ناحية ويحفزهم على مواصلة اعداد مثل هذه الدراسة من ناحية اخرى .

وشارك في تحرير هذا العدد الاساتذة فهد ابو خضرة : **« التلوين في مقامات الهمذاني »** ، شمعون بلاص : **« قراءة في « محطة السكة الحديد ، لادوار الخراط »** ، ابراهيم خليل جريس : **« مفهوم الجاحظ للكتاب والكتابة »** . سامي حنا : **« اغاثة الامة بكشف الغمة للمقريزي »** ، ساسون سوميخ : **« لغة الحوار الداخلي في قصص يوسف ادريس »** ، دافيد صيمح : **« الديمومة والاستحالة حول وسائل التعبير في الشعر العربي القديم »** ، جورج قنازع : **« الوحدة العضوية بين النقد والبلاغة »** ومراد ميخائيل : **« المعاني الشعرية المبنية على اصطلاحات صرفية ونحوية »** .

والواضح ان هذا العدد يقدم وجبة دسمة من الابحاث اللغوية والتراثية بغض النظر عما يمكن ان تثيره من نقاش حول هذا الموضوع او ذاك ..

ولا نريد هنا ان نتطرق الى اى من هذه المواضيع الا دراسة د. جورج قنازع حول الوحدة العضوية بين

(*) منشورات مكتبة ومطبعة السروجي — عكا .

النقد والبلاغة لفتت نظرنا لما فيها من رد على اولئك الذين انتقصوا من ثروة التراث العربي في ميدان النقد الادبي .

وكتب د. تنازع في هذا الصدد : « **والحقيقة ان اولئك الدارسين الذين روجوا لهذه النظرية ، نظرية عدم وجود الوحدة الفنية في الشعر العربي القديم ، تجاهلوا اشارات كثيرة واقوالا صريحة نصت عليها مصادر النقد العربي ، تدعو الى الاهتمام بالعمل الادبي ، ككل ، ليبدو متناسقا متكاملا في جميع اجزائه** » (ص ١١٠) .

وفي معرض دراسته الفنية يستشهد الدكتور بناقدين نكتفي بنقل آرائهما :

الاول ابن طباطبا وجاء قوله :

« **احسن الشعر ما ينتظم فيه القول انتظاما يتسق به اوله مع آخره على ما ينسقه قائله . وان قدم بيت على بيت دخله الخلل كما يدخل الرسائل والخطب اذا نقض تاليفها . فان الشعر اذا اسس تاسيس فصول الرسائل القائمة بانفسها ، وكلمات الحكمة المستقلة بذاتها، والامثال المرسومة باختصارها لم يحسن نظمه ، بل يجب ان تكون القصيدة كلها ككلمة واحدة في اشتباه اولها بآخرها نسجا وحسنا وفصاحة وجزالة الفاظ ودقة معان وصواب تاليف ، ويكون خروج الشاعر من كل معنى يصنعه الى غيره من المعاني خروجا لطيفا .. حتى تخرج القصيدة كأنها مفرغة افراغا** » .. (ص ١١٢) .

والثاني : ابو هلال العسكري وجاء قوله :

« **ينبغي ان تجعل كلامك مشتبها اوله بآخره ، ومطابقا هاديه لعجزه ، ولا تتخالف اطرافه ، ولا تتنافر اطراده وتكون الكلمة منه موضوعة مع اختها ومقرونة بلفقها فان تنافر الالفاظ من اكبر العيوب ، ولا يكون ما بين ذلك حشو يستغنى عنه ويتم الكلام دونه** » (ص ١١٣) .

كتابان للجاحظ (*) :

كتاب المعلمين وكتاب في الرد على المشبهة

تحقيق ودراسة
ابراهيم خليل جريس

هذا هو الكتاب الثالث الذي تصدره جامعة تل ابيب في اطار سلسلة الكتب بعنوان دراسات ونصوص ادبية .

وقبل ذلك اصدرت « **الاقصوصة التيمورية في مرحلتين** » بقلم متتياهو بلد و « **ابحاث في اللغة والاسلوب** » باشتراك مجموعة من الباحثين .

وبعد ان استعرض الدكتور ابراهيم خليل جريس المخطوطات التي اعتمد عليها في تحقيقه مهد لكل من الكتابين بمقدمة حلل فيها توجه الجاحظ ودوافعه واسلوبه في كل من الموضوعين .

ونعتقد ان الاستاذ اكتشف جوهر توجه الجاحظ ازاء ظواهر المجتمع والكون حين كتب :

يرى الجاحظ ان « **حاجة الناس الى بعض صفة لازمة في طبائعهم وخلقة قائمة في جواهرهم ، وثابتة لا تزايلهم ، ومحيطة بجماعتهم ومشتملة على ادناهم واقصاهم . ولم يخلق الله تعالى احدا يستطيع بلوغ حاجته بنفسه دون الاستعانة ببعض ما سخره له** » . (انتهى الاستشهاد بالجاحظ) .

وكتب في تأكيد اهتمام الجاحظ بالمعلمين : « **وترجع ايجابية موقف الجاحظ من المعلمين والمؤدبين بشكل خاص وناشري العلم بشكل عام الى حقيقة جوهرية تظهر لكل من درس كتاباته وهي حقيقة تقديسه للعلم والادب وايمانه بانهما الوسيلة الوحيدة التي يمكن ان تسمو بالانسان نحو سعادته الدنيوية والدينية** » . (ص ٣٢) .

واردف : « **والمعلمون والمؤدبون - في نظر الجاحظ - من اوائل من يسهمون في نشر العلم والادب واحيائه والحفاظ عليه لذا ففضلهم عظيم ولا غنى عنهم** » . (ص ٣٢ ؛ وفي كتاب المعلمين المرفق ص ٥٩ - ٦٠) .

وقد ابرز الاستاذ جريس في مقدمته اهتمام الجاحظ بدقة التعبير كما اوضح منهاجه التربوي ..

وهذا يظهر في الكتاب نفسه بفصوله المختلفة وابرزها « **دلائل على اهمية المعلمين** » (ص ٦٣) و « **الادب واهميته** » (ص ٧١) و « **اسلوب تعليم الصبي** » (ص ٧٢) و «**نصائح تربوية لوالد الصبي**» (ص ٨٦) .

وجاءت مقدمة المحقق في التمهيد لكتاب الجاحظ الثاني « **كتاب في الرد على المشبهة** » تعريفا عاما لموضوع الكتاب يفيد القارىء العام .. ولا شك ان الاستاذ جريس احسن الاختيار لان الجاحظ يدافع في هذا الكتاب عن المعتزلة الذين يمثلون اكثر التيارات الفلسفية الاسلامية عقلانية .

وسيجد المتخصصون في هذا الموضوع في نص كتاب الجاحظ مادة غزيرة وغنية قد تستنفرهم الى دراسة المعتزلة وهذا حسن في حد ذاته .

---

* منشورات جامعة تل ابيب ومكتبة ومطبعة السروجي - عكا .

تحية الى كفر ياسيف وابو سنان

هيئة تحرير الجديد تحيي فرع كفرياسيف وابو سنان على النشاط المثابر والمثمر الذى بذله موزعو الجديد بادارة الرفيق وهيب شاهين ولجنة الصحافة حيث وزعوا في القريتين اكثر من خمسمائة عدد من الجديد .

نشد على اياديهم ونرجو ان يكونوا القدوة الرائدة لبقية الفروع .

« هيئة التحرير »

الجديد

* شهرية ثقافية ــ تأسست فى حيفا عام ١٩٥١ *